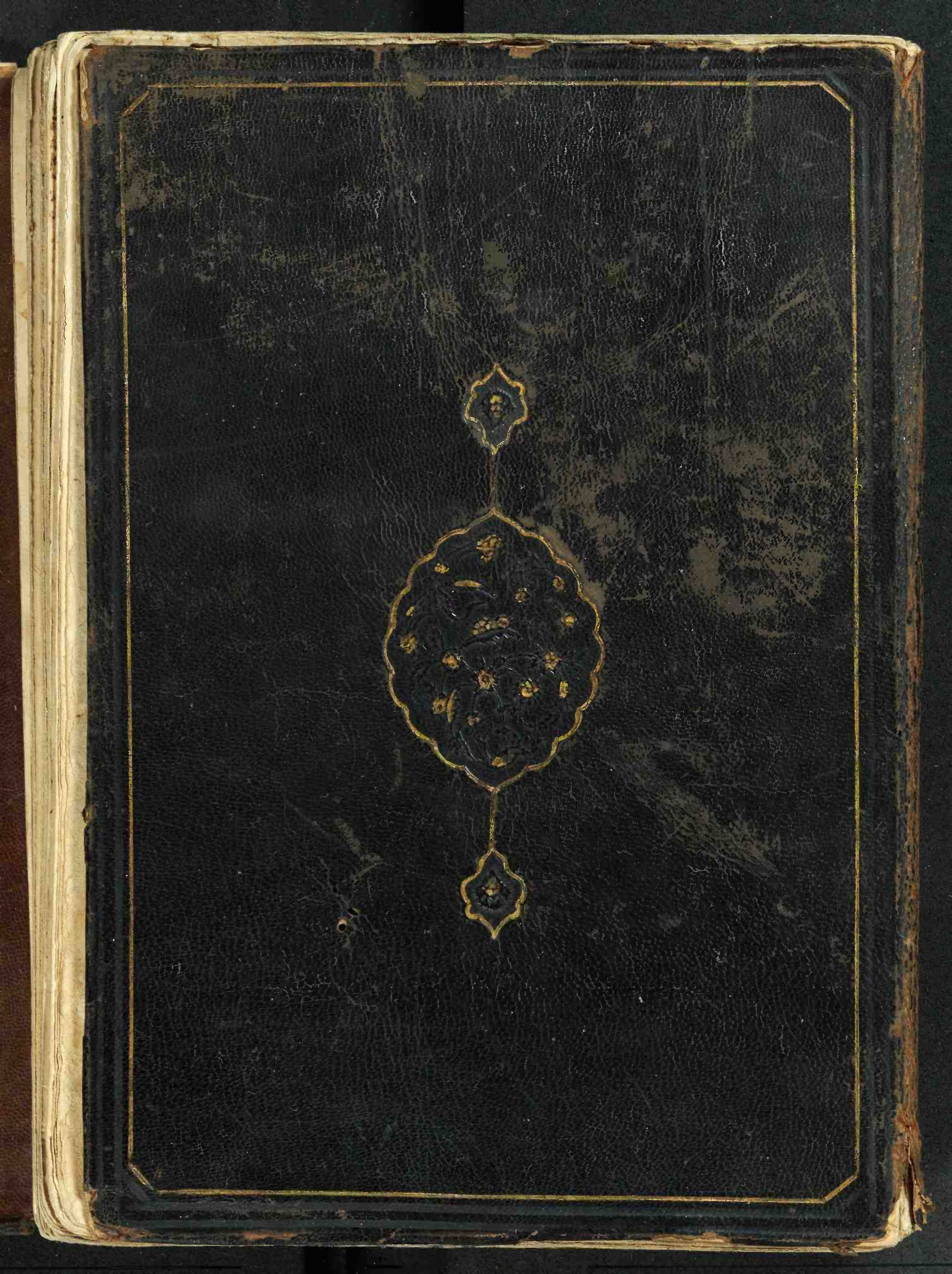
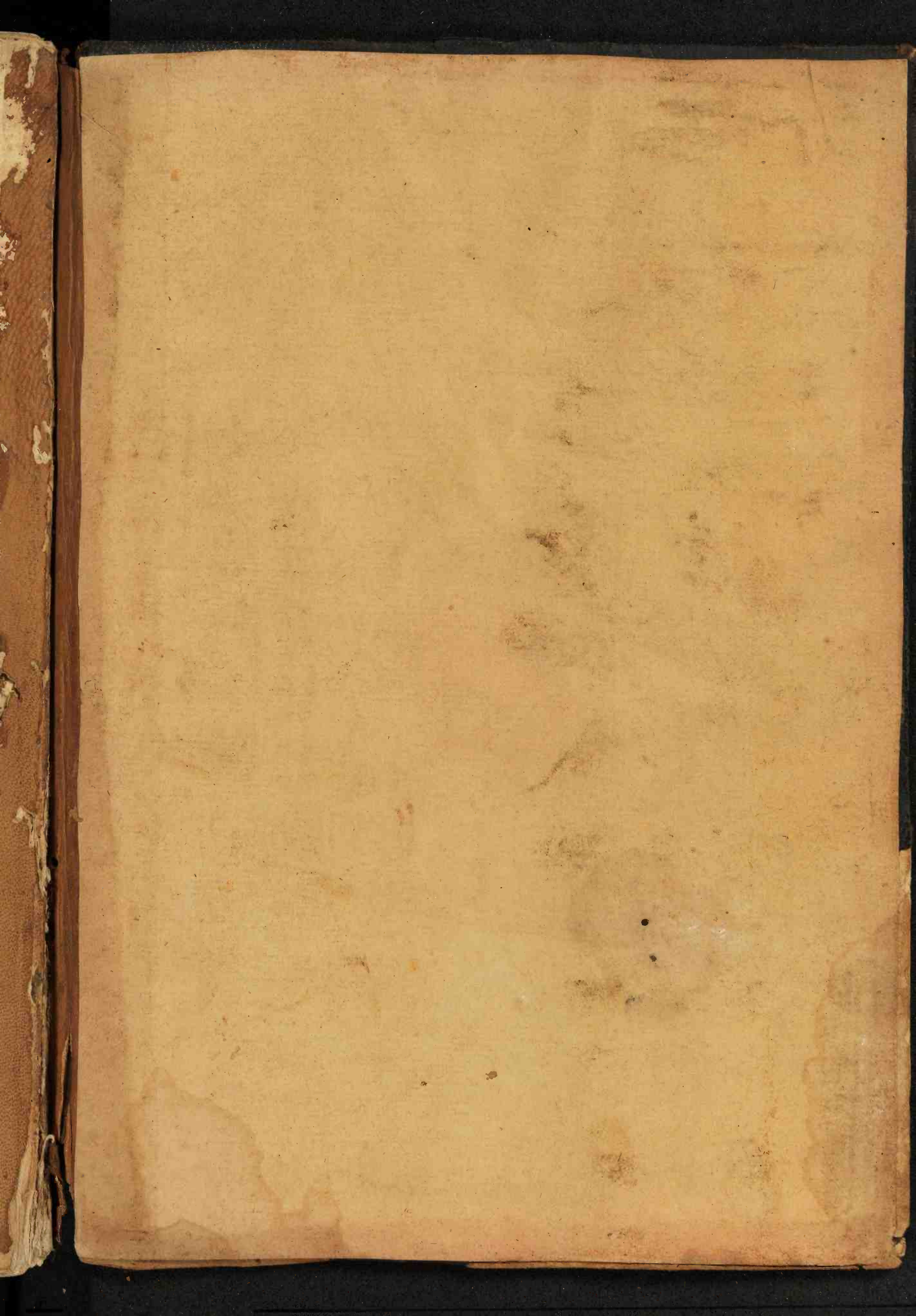




مفرد

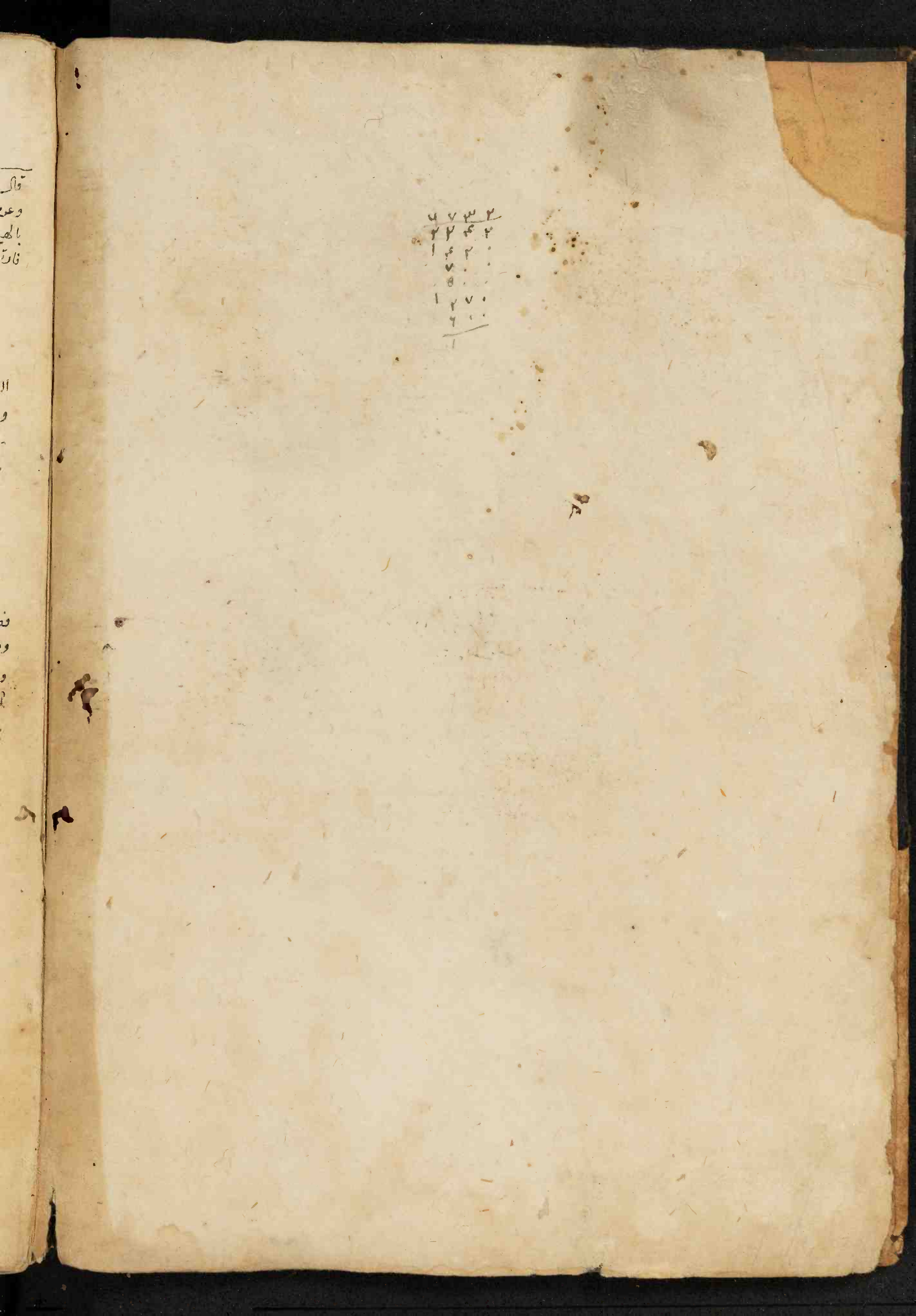
اذا غاب شخص العبد عن حضرة الكرم فاروحه والله عنا بغائب

فرد

لم اخش عينية الاوطان [illegible] فما [illegible] كما عن [illegible]

فرد

ومن الانار كواكب يسري بها [illegible] العيب



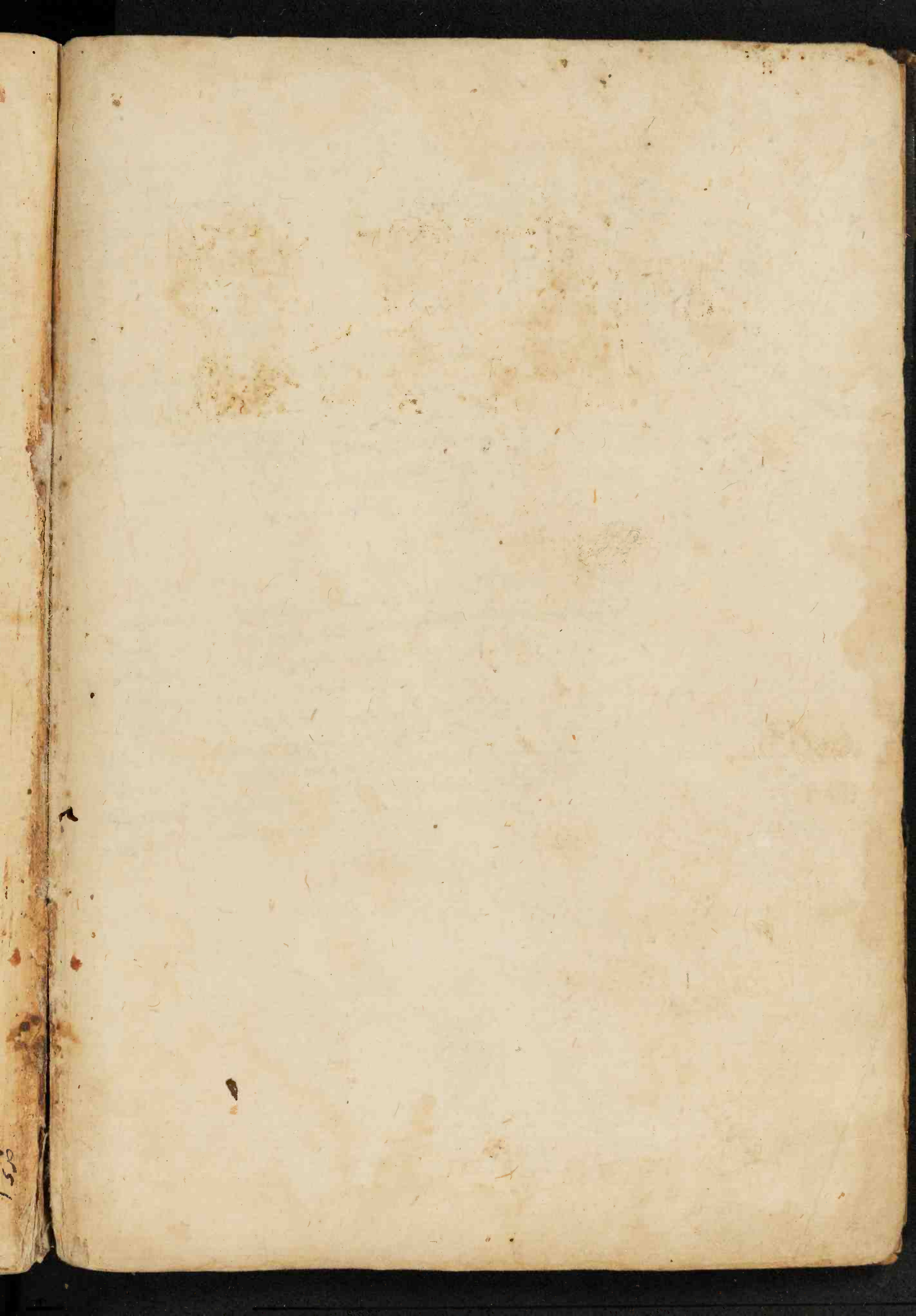
قال بن عباس رضي الله عنه انه قال اول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها
وعرضها مسيرة الف سنة في مسيرة عشرة الاف سنة فنظر اليها
بالهيبة فذابت واضطربت باذن الله ثم ارتفع منها دخانا بتسليط النار عليها
فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الما فجعل الزبد ارضا والدخان
سماء (نقلا من تفسير مدارك)

(تواريخ)

التاريخ من آدم عم الى زمان طوفان الفان ومئتان واثنان واربعون سنة
ومن نوح الى ابرهيم عم الف واربع مائة وعشرون سنة ومنه الى موسى عم
سبعمائة سنة ومن موسى الى داود خمسمائة سنة ومن داود الى عيسى عليه
الف ومئتان وسبعون سنة ومن عيسى الى محمد صلوات الله وسلامه عليه
ست مائة سنة هذه رواية وهب بن منبه فالجملة ستة
الاف وسبعماية واثنان وثلثون
سنة

فصل في اسماء الرجال توفي ابو حنيفة ببغداد سنة خمسين ومائة والشافعي بمصر سنة اربع ومائتين ووولد سنة خمسين ومائة واحمد بن حنبل ببغداد سنة احدى واربعين ومائتين ووولد سنة اربع وستين ومائة
وتوفي مالك بالمدينة سنة تسع وتسعين ومائة والبخاري ولد يوم الجمعة لثلث عشر خلت من شوال سنة
اربع وتسعين ومائة ومات ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين بقرية من بخارى ومسلم مات
بنيشابور سنة اربع وستين ومائتين ابن خمس وخمسين وابو داود بالبصرة سنة تسع وسبعين
ومائتين والترمذي بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين والدارقطني ببغداد سنة خمس وثمانين
وثلثماية وولد بها سنة ست وثلثماية والحاكم بنيسابور سنة خمس واربع ماية وولد سنة احدى
وعشرين وثلثماية والبيهقي ولد سنة اربع وثلثين وثلثماية ومات بنيشابور سنة ثمان وخمسين
واربعماية والرافعي ليلة الخميس السادس شهر ذي القعدة ودفن بين الصلوتين سنة ثلث وعشرين وستماية
تمت

من تطابيع الاصول فرق بين حدثنا واخبرنا وانبانا قال عبد الله بن وهب
قال حدثنا فهو ما سمعت مع الناس وما قلت حدثني فهو ما سمعت وحدي وقال
اخبرنا فهو ما قرئ على العالم وانا شاهد وما قلت اخبرني فهو ما قرات على العالم كذلك
قال الحاكم ابو عبد الله النيشابوري وقال يحيى بن سعيد اخبرنا وحدثنا واحد وهو الصحيح من حيث
اللغة واما انبانا فان اصحاب الحديث يطلقونه على الاجازة والمناولة دون القراءة والسماع اصطلاحا والا
فلا فرق بين الانبا والاخبار لانهما بمعنى واحد وقال الحاكم اجزنا انما يكون فيما يجيزه المحدث الراوي شفاها دون المكاتبة




محمد بن تركي التركي

مسعود بن العراد

المنطبب

كتاب سلوان المطاع
في الحكم والنصايح والامثال
العجيبة والقصص الغريبة

ابو طاهر احمد بن علي الرصافي العباسي

لمكان نصل ... محمد علي بن محمد الانصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

ان شكر الله سبحانه لاسنى الملابس الفاخرة وان حمده لاعود بخير
الدنيا والآخرة فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب في المكروه
كمينا الذي ضرب دون اسرار الاقدار حجابا مستورا وقضى ان الجزع على الفطن
حجرا محجورا واوطا المستسلمين لمشاياه مهودا وثيرا وامطا المتبرمين بقضائه
كنودا عثورا وقال سبحانه فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا سيدنا النبي المصطفى محمد وسلم تسليما كثيرا والحمد لله الذي خلق البرية
الآدمية فاحسن خلقها واستخرج لها من الارض مجاوج السماء فاوسع رزقها
وعرفها بسفارة الانبياء باطلها وحقها وغذق بآراء الامراء اسامها وسوقها
والزمها مناصحة امرائها وصدقها وكلفها من عونها على الحق وسعها وطوقها
كما كلف الامراء اخطر الاعمال واشقها فالرعاة ثقيلة اعباؤها
موقوذة من النصب انضاؤها لانها تصون الرعية عن متالفها وتؤمنها في

ديارها وسبلها من مخاوفها وتحوطها من عدوها بالمكر والكيد وبالحرب
والايد وتقدع عن ضعيفها قويها وعن رشيدها غويها وتؤدب سفهاها
وتحسم في الفساد دواها وتستخرج حقوق الله في اموالها فتصرفها في مصالح احوالها
ولهذا كان عمل الامير المقسط في يوم واحد افضل من عبادة المجتهد ستين
عاما وكانت تتمة من تكرمة الله سبحانه في المآل ما رويناه في المسند
الصحيح من حديث عبد الله ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا
يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا ومما صح وثبت ورويناه
من حديث ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة انه وفد على معوية
رحمه الله قال فلما دخلت عليه وسلمت قال ما فعل طعنك على الائمة يا مسور
فقلت دعنا من هذا واحسن فيما قدمنا له فقال والله لتكلمن بما في
نفسك قال فلم ادع شيئا اعيبه عليه الا بينته له فقال يا مسور اني لا ابرا
من الذنوب فما لك انت ذنوب تخاف ان تهلكك ان لم يغفرها الله لك

قلت بلى والله قال فما الذى جعلك منى احق بن جاء المغفرة مع ما لى من الاصلاح بين الناس

واقامة الحدود والجهاد فى سبيل الله والامور العظام التى لا احصيها انا ولا انت وانى لعلى

دين تقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات وعلى ذلك فوالله ما كنت لاخير

بين الله وبين ما سواه الا اخترت الله على ما سواه قال مسور ففكرت فيما قال

فعرفت انه قد خصمنى فكان المسور بعد ذلك اذا ذكر معوية دعا له بخير

قال المصنف وهذا راى المحققين من العلماء فيمن لم يبلغ درجة القسط

من الامراء لاسيما امراء عصرنا هذا الذين قل ظفرهم بوزير صالح وظهير مناصح

وعلم عامل بالزهد والتقوى ومجاهد فى سبيل الهوى ○ ولقد روى لنا ان عمر

بن عبد العزيز رضى الله عنه لما حال بين بنى مروان وغيرهم من بنى امية وبين

العدوان واستخرج مظالم الناس قبلهم وقطعهم عما لا يستحقونه من مظالم

الناس اجتمعوا فتشاوروا وتذامروا فاتوا ابنه فقالوا لابنه عبد الملك

قل لامير المومنين انا لا نقر له ما فعل بنا حرمنا ما فرض لنا الخلفاء قبله فى بيت المال

وانتزع اكثر ما بايدينا فاوده على الناس وسماه مظالم فما ادخله فى امر قد وليه غيره

يتعقب ما كان منه فدخل عبد الملك على عمر رضي الله عنه واخبره بكلامهم
وعنده عمرو بن مهاجر وكان يلي كثيرا من امره فاطرق عمر رحمه الله مهموما
مفكرا طويلا ثم رفع راسه الى عبد الملك فقال ما تقول انت يا بني
قال ابض يا امير المومنين لما امرك الله به ولو غلت بي وبك القدور فقال ما تقول
انت يا ابن مهاجر فقال ان الله سبحانه قال لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم جعلناك
على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون الى قوله تعالى والله ولي
المتقين فقال الحمد لله الذي اعانني بكما على امري فهذا عمر بن عبد العزيز
رحمه الله يستكثر في عصره ان اعانه الله برجلين على امره فكيف وقد خلت
من بعد ذلك قرون والناس في كل عام يرذلون ؛ وروي لنا انه رحمه الله عنه
كتب الى سالم بن عبد الله يسله عن سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليقتفيها
فكتب اليه سالم انك لست في زمان عمر ولا في مثل رجال عمر ثم قال في كتابه
ولكن احترس من عمالك بكثرة البحث عن احوالهم ليكونوا امنك
على حذر فمن رضيته منهم اقررته ومن سخطته عزلته وارجوا اذا انت تستعمل

لله ونزع لله ان ينزع الله لك اعوانا ن وهذا صحيح ويشهد له قول النبي صلى
الله عليه وسلم من اتقى الله صنع له ؛ وبعد فان ملكا ميمون السيرة مظنون
صلاح السريرة حميد الفكرة شديد العبرة قد سعفه العلم حبا واستعمره خلبا
وقلبا ولم يزل بالحكمة صبا نوثب خارجي على رعيته فاقتطع منهم حزنا وطمع في
ارض ملكه غصبا وآنس من وجوه اتباعه شغبا فسألني في تلك الحال ان اوهبه
بكتاب يشتمل على حكم وآداب ولما علم اني سموت الى تلبية ندائه ورجوت مداواة
قلبه من كرب دائه زعم ان الكتاب لا يكون لغمه نافيا ولا لدائه شافيا الا
اذا جعلته لكتاب كليلة ودمنة قافيا وكان قد عاطاني ودا صافيا وبرا ضافيا
وايناسا ظاهرا وخافيا فكرهت ان اكون عن تانيسه في تلك الحال متجافيا
وانتخبت حكايات من الحكميات العربيات المعدمات الغرائب
منها ما روي عن بعض امرا المومنين ومنها ما حكي عن بعض الملوك المتقدمين
فشحذت بتحبير التعبير عن معانيها انصارها واستعمرت اوكارها عون
الحكم وابكارها ثم نظرت بها اشباح امثال نفخ فيها ارواح

الاخلاق الزكية وكسوت جسومها حلل الآداب الملوكية وتوجت روسها

بتيجان الهمم الابية وقلدت عواتقها سيوف السياسات العجمية والعربية

وافتتحت كل فن بآيات من الذكر الحكيم واخبار عن المصطفى محمد بارك

الله في الصلوة والتسليم فاضت روضات الافئدة والاسماع ورياضات

العادات والطباع وسميتها سلوان المطاع في عدوان الاتباع والسلوان

في الاصل جمع سلوانة وهي خرزة بيضاء تزعم الاعراب انها اذا حلت وصب

عليها ماء ثم شربه المحب سلا عن محبوبه

قال الراجز

لو اشرب السلوان ما سليت ما بي غنى عنكم وان غنيت

فهي خمس سلوانات

السلوانة الاولى في التفويض • السلوانة الثانية في التاسي •

السلوانة الثالثة في الصبر • السلوانة الرابعة في الرضا •

السلوانة الخامسة في الزهد •

وها انا اقدم بين يدي ما نوشغف باداريه على قطب الحكايات الاصليه

التقليه من صور امثال نفثت فيها ارواح البيان وحكم اقوال عزونها

الى الحيوان ما يحفرني من عشو ذى علم قاصر وتغاشى ذى لمح باصر وهو ما رواه

الامام الفقيه ابو بكر محمد ابن الحسين الاجرى باسناد له ان امير

المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حضر جنازة رجل من بنى اميه

فلما دفن قال لاصحابه قفوا وصوت فامعن فى القبور واستبطاه

الناس حينا ثم رجع وقد احمرت عيناه وانتفخت اوداجه فقيل ابطات

يا امير المومنين ما الذى حبسك قال اتيت قبور الاحبه فسلمت فلم يردوا

على السلم فلما ذهبت اقفى نادانى التراب فقال لى يا عمر الا تسلنى ما لقيت

اليدان قلت ما لقيتا قال قطعت الكفين من الرسغين وقطعت

الرسغين من الذراعين وقطعت الذراعين من المرفقين وقطعت المرفقين

من العضدين وقطعت العضدين من المنكبين وقطعت المنكبين

من الكتفين فلما ذهبت اقفى نادانى التراب فقال لى يا عمر الا تسلنى ما

لقيت الابدان قلت ما لقيت قال قطعت الكتفين من الجنبين وقطعت
الجنبين من الصلب وقطعت الصلب من الوركين وقطعت الوركين من الفخذين
وقطعت الفخذين من الركبتين وقطعت الركبتين من الساقين وقطعت
الساقين من القدمين فلما ذهبت اقفي نادانی التراب فقال لي يا عمر عليك
باكفان لا تبلى قلت وما اكفان لا تبلى قال اتقاء الله والعمل
بطاعته ۞ قال صاحب الكتاب عفا الله فاستمع رحمك الله هذه
الاقوال التي نسبها عمر رضي الله عنه الى التراب وهو موات بتخييل
انضافه بالقول اللفظي والنفسي فجعله منادياً مرة ومسؤولاً مرة ومجيباً
مرة وآمراً مرة وكل ذلك لم يكن وانما نظر معتبراً فانقدحت
في نفسه هذه المواعظ الحكمية فافرغها في قالب الحكاية
ورتبها على قانون المسئلة والاجابة ونسبها الى غيره وقول بها جماداً
أمواتاً لما علم ان ذلك اهز لسامعها الى تدبرها وابعث له على
رؤيتها ولو قال لهم نظرت فاعتبرت في حال المقبورين فوجدت التراب

قد فعل بهم كذا وكذا لم تبلغ عظته المبلغ الذي بلغته اذ اوعدها

في الصورة التي اخترعها وكذلك ما روى عمير بن ابي بشر ان امير المومنين

عليا عليه السلم خطب الناس يوما فقطعوا عليه خطبته فنزل وهو

يقول انما مثلي ومثل هولاء ومثل عثمن رحمه الله مثل ثلثة اثوار كانوا في

غيضة ابيض واحمر واسود ومعهم في تلك الغيضة اسد فكان

الاسد كلما اراد واحدا منهم اجتمعوا عليه وامتنعوا ولم يظفر بهم

فقال للاسود والاحمر ان هذا الابيض يفضحنا في غيضتنا هذه لاجل

بياضه فلو تركتماني فاكلته لاستترنا في هذه الغيضة ولم يفطن

لنا لان لوني يوافق لونكما ولونكما يوافق لوني فتركاه فاكله وبقي

معهما فكلما اراد واحدا منهما اجتمعا عليه فقال للاحمر منهما ان

هذا الاسود يفضحنا في غيضتنا هذه لانه يرى سواده فخل عنه حتى اكله

لا كون انا وانت في هذه الغيضة فلوني يشبه بلونك ولونك يشبه لوني فتركه

فاكله فاقام مع الاحمر وقتا يسيرا ثم قال يا احمر اني اكلك قال

افآكلي انت قال نعم فقال له اذ لابد لك من اكلي فحل عني حتى اصوت ثلثة
اصوات فخلى عنه فصاح انما اكلت يوم اكل الثور الابيض انما اكلت يوم
اكل الثور الابيض انما اكلت يوم اكل الثور الابيض وكذلك انما
وهنت يوم قتل عثمن فالها ملثا فال صاحب الكتاب عفا الله عنه
وهذا ايضا صريح في نسوخ ما ذهبنا اليه وكذلك ما رويناه ان النعمن
بن بشير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاملا لمعوية على الكوفه
فكتب اليه يامره بزيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل من اهل الديوان بالكوفه
ولم يوافق ذلك النعمن فلم يمضه لهم وبينا هو يخطب على المنبر في يوم
جمعة صاحوا به ننشدك الله الزيادة ايها الامير فقال اتدرون
ما مثلي ومثلكم مثل الضبع والثعلب والضب فان الضبع والثعلب
اتيا الضب في وجاره فنادياه يا ابا الحسيل فقال سميعا دعوتما فقالا
اتيناك لتحكم بيننا قال في بيته يؤتى الحكم قالت الضبع اني
حللت عيبتي قال الحرة فعلت قالت ما لقطت ثمرة قال طيبا القطت قالت

فاكلها الثعلب قال لنفسه شيء قالت فلطمته قال بحرمه قالت
فلطمني قال حر انتصر قالت فاقض بيننا قال حدث امراة حديثين فان ابت
فعشرة ٥ وهذه المقاولة كلها امثال سائرة ورواة الامثال
نقلوا ما قاله النعمن بالفاظ تخالف الفاظ النعمن رحمه الله وهي مشهورة
في كتبهم الا اني حكيت الفاظ النعمن رحمه الله لاني قصدت الاحتجاج
بما استجاز قوله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر في خطبة
الجمعة لم ينكر عليه احد هذا ثم ان المسلمين مجمعون على ان ما يدركه
العقلاء المعتبرون من عجائب تصرف النمل والبعوض فما فوقهما مما اتصف
بالحيوة وحزم العقل انما هو الهام من الله سبحانه كما قال تعالى
واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقال سبحانه وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وذلك يتضمن انه سبحانه الهمها معرفته
وتوحيده وقبول من قال ان ذلك التسبيح هو ما يستدل به العاقل
المعتبر بها من عجيب الصنعة ولطيف الصنع على توحيد الله سبحانه والعلم

بقدرته وحكمته فهذا القول اولى بالموت لانها اتصف بالحيوة وقد روى

لنا من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما صيد

طاير ولا حوت الا بتضييع التسبيح ٥ وان ميمون بن مهران قال اتي الصديق

رضي الله عنه بغراب وافر الجناحين فجعل يمد جناحه ويقول ما صيد من صيد

ولا عضدت شجرة الا بتضييع التسبيح ٥ واخبر الله سبحانه بما الهم

النملة من النصح للنمل والتحذير من الحطم وهو الاهلاك والمعرفة بسليمن

عليه السلم وجنوده وذلك ما خاطبت به قايلة يا ايها النمل ادخلوا

مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وما الهمها من العلم

بعدل سليمن ورافته وانه لو شعر بالنمل لما خافت عليهن الحطم وذلك

يتضمنه قولها وهم لا يشعرون وقيل ان الضمير في هذا للنمل

معناه والنمل لا يشعرون وقيل به النملة الناصحة والاولى اولى

لانهم ضمير من يعقل ٥ واخبر سبحانه بما الهم الهدهد من ان سليمن عليه

السلم لا علم له بما اخبره وتيقن ذلك فقال احطت بما لم تحط به والهمه

معرفة النسب والتفرقة بين العجم والعرب وبين الصدق والكذب وذلك
قوله وجئتك من سبا بنبإٍ يقين وكانوا من ولد سبا بن حمير والهمة
من صور البشر واحوالهم ما ميز به الذكور من الانوثية والملوك من الرعية
وذلك قوله انى وجدت امراة تملكهم اى تملك سبا والهمة توسع الملوك
فى اجناس المملوكات واحتياجهم الى اقتناء المدخرات وذلك قوله واوتيت
من كل شىء يؤتاه الملوك والهمة معرفة وصنوف اليواقيت
واللآلى وانها نفيسة القدر تعظم ما زين بها وذلك بتضمنه قوله تعالى
ولها عرش عظيم عند الناس والهمة معرفة الصلوة ذات السجود وانها
تفعل تونسا الى المعبود وان القوم اختصوا بعبادة الشمس من دون الله
والهمة معرفة الشيطان وتزيينه سيئ الاعمال وان الله تعالى
سبيلا هو الدين الذى ارتضاه وان الشيطان يصد عنه وان من صد
ضل وذلك قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا
يهتدون والهمة استحقاق الله العبادة وانفراده بالالهية وذلك

قوله الا يسجدوا لله وقوله الله لا اله الا هو هنا على قراءة من قرا الا بالتشديد
ولها معنيان احدهما ان الا بمعنى هلا ابدل من الهاء الهمزة والثاني
ان اصلها ان لا منفصلة ولا زائدة كما زيدت في قوله ما منعك ألا
تسجد اى ما منعك ان تسجد فيكون ان في قصة الهدهد متصلة بقوله
يهتدون التقدير فهم لا يهتدون ان لا يسجدوا لله والهمه ان الله سبحانه
في السماء خباء وهو الماء وان له في الارض خباء وهو النبات وانه سبحانه
المتفرد باخراجهما وذكر ذلك في معرض الدعاء الى الاعتبار والاستدلال
على ان المستحق العبادة من المخلوقين هو خالقهم ورازقهم والهمه ان الله
سبحانه عالم محيط بالسر احاطته بالجهر وذلك قوله يخرج الخبء في السموات
والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون والهمه ان الله سبحانه عرشا
تتلاشى عظمات العروش في عظمته فذلك قوله رب العرش العظيم
لان قوله ولها عرش عظيم ادخال لعرش بلقيس في صيغة التنكير وقوله
رب العرش العظيم قضاء على عرش بلقيس بالتصغير والتحقير فقد الهم

الله سبحانه الهدهد هذه العلوم التي تبهر الفهوم ومن فتح له ابواب

الاخبار والاعتبار حصل على انواع البيان ونقل من السماع الى العيان

وهو على كل شيء قدير ثم اني ابتدي فاقول راغبا الى الله سبحانه في

الامداد بالسداد والارشاد الى رفع العناد فان به الحول والمنة

وله الطول والمنة

السلوانة الاولى

وهي سلوانة التفويض : قال الله ربنا تقدس اسمه وعسى ان تكرهوا

شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون

فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه وافهمه ما يرضاه من التفويض

اليه فالعاقل تارك للاقتراح على العالم بالصلاح وقال عز اسمه فعسى

ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فبعث على تاكيد

الرجاء بقوله خيرا كثيرا ووجه افهام الندب الى التفويض منها تبين

الايتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه

9

فالاولى بذى البصيرة ان لا يامن المضرة بالمسرة ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير

الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد به من الله سبحانه صرف

الله البلاء واللطف فى مكروه القضاء وبهذا عامل الله سبحانه

مومن آل فرعون حين فوض امره الى الله تعالى وذلك مما بلغنا انه كان من ذوى

قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا لايمانه

فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم ولما ظهرت ايات الله سبحانه

على يد موسى عليه السلم بحضرة فرعون جمع فرعون بطانته وفيهم ذلك

المومن فشاورهم فى امر موسى فاتفقوا على ان الراى مماطلة موسى عليه السلم

وجمع السحرة لمقاومته وكان راى فرعون معاجلة موسى بالقتل قال الله سبحانه

وتعالى قالوا ارجه واخاه وابعث فى المداين حاشرين ياتوك بكل

ساحر عليم وقال عز اسمه وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه

الاية ولما اطلع وزراء فرعون على رايه فى موسى عليه السلم امسكوا عن

مراجعته هيبة واشفق ذلك المومن ان يبطش فرعون بموسى فعيل صبره وضاق

وانما صحو المال حرجوم

وبطلعو خنا على من ذلك عليهم

بسيرة صدقه فقال معنى ما اخبر الله عز وجل به عنه اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ثم كانه استقال
فراجع التقية والحذر والتورية فقال ما اخبر الله عز وجل به عنه وان يك
كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم
فلما سمع فرعون مقالته امر به فسجن وشاور وزراءه في امره فاشاروا بان يبسط
عليه العذاب ثم يقتله لئلا ينزع من كان على مثل رايه وكره ذلك فرعون
وعطفته عليه القرابة وامر الوزراء ان يصيروا اليه ويعظوه وينصحوه ففعلوا
ذلك ولما سمع المومن مقالتهم دعاهم الى الله واذكرهم ما عاينوه من
الايات وحذرهم بطش الله ونكيره وكان منه اليهم معنى ما اخبر الله عز
وجل به عنه يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الاية وقوله ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات الاية وقوله ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة
وتدعونني الى النار الى قوله فستذكرون ما اقول لكم وافوض
امري الى الله ان الله بصير بالعباد فعاد القوم الى فرعون فاخبروه عن المومن

تتمه

بثبوته على المشاقة والمباينة وان النصح لم يزده الا تماديا على امره فساء ذلك

فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا فيه فاتته ابنته فسالته عن

امره فاطلعها عليه فقالت له ان عندي لفرج مما انت فيه فلا تعجل على ذي

قرابتك فانه على ما تحب ولكنه راى ان موسى قد امتنع بالسلطان الذي جعله

ربه في عصاه وان قتله مجاهرة غير ممكن اظهر لموسى انه على رايه ليخدعه بذلك

ويتمكن من مخاتلته وقتله غيلة فكل ما رايت وسمعت انما هو مكر

بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم اهل

نميمة وحسد وبغي ولم يطلعوا على مثل وفايه ونصحه فسر فرعون بمقالتها

والقى الله سبحانه في نفسه تصديقها فيقال والله اعلم ان اسية امرأة

فرعون هي التي امرتها بذلك واحضر فرعون ذلك المومن واعتذر

اليه واكرمه وقال لقد علمت ما انت قاصد اليه وساع فيه فقل

ما بدا لك ان تقوله وافعل ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك قال الله

سبحانه فوقاه الله سيئات ما مكروا وهذه الوقاية هي ثمرة التفويض

ثم قال ربنا سبحانه وحاق بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه (اي احاط)
بذلك المومن من التعذيب وان كان عذاب الآخرة لا يجتمع مع عذاب الدنيا
الا في التسمية واللقب وهذا كقوله سبحانه ولا يحيق المكر السيئ الا
باهله ۝ واعلم رحمنا الله اجمعين ان حقيقة التفويض انه التسليم
لاحكام المفوض اليه وهو الذي دل الله عليه مصطفاه محمدا صلى الله عليه
وسلم بقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون
فان التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد العجز عن مغالبة القدر
وانه لا يكون من الخير والشر الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض
ممن لم يعتقد ذلك ويعلمه علم اليقين وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ما قدر
ياتيك وما لم يقدر لم ياتك واعلم ان الخلق لو جهدوا ان ينفعوك بشيء لم
يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك
بشيء لم يكتبه الله عز وجل عليك لم يقدروا على ذلك ۝ وقوله

صلى الله عليه وسلم ليقل همك امرنا بالتفويض وقوله ما قدر يأتك الى آخر
الكلام بيان العلة التي من اجلها فوض العقلاء الى الله سبحانه
ونحو ذلك مما رويناه في مسند مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لابي هريرة في كلام له فان اصابك شيء فلا تقل لو فعلت
كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء
فعل فان لو تفتح عمل الشيطان ٥ فدله على التفويض الى الله والتسليم
لامره ونهاه عن قول لو لما كان منافيا للتفويض الى الله ويقتضي
الاعتراض على قدرته والتعاطي لدفع مشيئته ٥ ومما رويته
في صحيح مسلم عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اخذت مضجعك فتوضا وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك
الايمن ثم قل اللهم اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك والجات
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا منجا ولا ملجا الا اليك آمنت
بكتابك الذي انزلت ونبيك الذي ارسلت الحديث ٥

أسجاع وأبيات حكمية في التفويض

معارضة العليل طبيبه توجب تعذيبه ○ إنما الكيّس الماهر من استسلم في قبضة القاهر ÷ إذا كانت مغالبة القدر مستحيله فمن أعوان نفوذه الحيلة ÷ إذا التبست المصادر ففوّض إلى القادر ÷ إنّ من الدليل الدالّ على أنّ الإنسان مصرّف مغلوب ومدبّر مربوب أن يتبلّد رأيه في بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب • وإذا كان ذلك فربما كان ندمه في تدبيره واعنياله في احتياله وهلكته في حركته • قيل كان الحجاج بن يوسف إذا تعارضت آراؤه في خطب من الخطوب أنشد ○

أيا من يعوّل في المشكلات على ما رآه وما دبّره
إذا أشكل الأمر فابرأ إلى من يرى منه ما لم تره
تكن بين عطف يقيك الخطوب ولطف يهوّن ما قدّره
إذا كنت تجهل عقبى الأمور وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العناء وعلام الأسى وهمّ الجنان وفيم الشره

للقضاء

المخوف

دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها برأي منك منكوس
وقلت في ذلك أيا من يعول إلخ
كذا في نسخة أخرى

وقال ايضا

ه يارب مغتبط ومغبوط براى فيه هلكه
ومنافس فى ملك ما يشقيه فى الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر ولبس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالآراء شىّ الحال ضنكه
فكن امرا محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدار شركه

روضة ابقة ورياضة فايقة

قيل ما معناه انه لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ان ابن عمه يزيد بن
الوليد قد اوعز عليه الصدور وشرد عنه القلوب واستجاش اليمن عليه
ونازعه رداء ملكه ساعيا فى هلكه استوحش من بطانته
واجتنب عن سماره فدعا فى عشية من عشايا وحشته خادما له فقال
انطلق متنكرا فقف ببعض طرق المسجد وتامل من يمر بك فاذا رايت

كهلاً رث الملبس يمشي مشياً هويناً وهو مطرق فسلم عليه وقال له سراً

إن أمير المؤمنين يدعوك فإن أسرع الإجابة فأتني وإن تلكأ أو عارض

أو استراب فدعه واطلب رجلاً غيره على الصفة التي أخبرتك حتى

تأتيني برجل على الشرط فانطلق الخادم فأتاه برجل على ما وصف وشرط فلما

دخل الكهل على الوليد حياه بتحية الخلافة فأمره الوليد بالدنو والجلوس

وأمهله إلى أن ذهب روعه وسكن جأشه ثم أقبل عليه فقال

له أتحسن مسامرة الخلفاء فقال الكهل نعم أحسنها يا أمير

المؤمنين قال له الوليد إن كنت تحسن المسامرة فأخبرنا ما هي فقال

المسامرة إخبار لمنصت وإنصات لمخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق

بالحال فقال الوليد أحسنت لا أزيدك امتحاناً فقيل أنصت

لقولك فقال الكهل إن المسامرة صنفان لا ثالث لهما أحدهما

إخبار بما يوافق خبراً مسموعاً والثاني إخبار بما يوافق غرضاً مقترحاً

ولم أسمع بحضرة أمير المؤمنين خبراً فآخذ على مثاله ولا اقترح على

سلوك طريقة فانحو نحوها فقال له الوليد صدقت ها نحن نرسم لك

رسمًا تقتفيه انا بلغنا ان رجلًا من رعيتنا سعى فيما يصم ملكنا

فاثر سعيه فشق ذلك علينا وبلغ منا مبلغًا عظيمًا فهل ينتهي ذلك

الى علمك فقال له الكهل نعم فقال الوليد فقل الآن على حسب

ما نمي اليك منه وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير

المؤمنين بلغني ان الخليفة عبد الملك بن مروان لما ندب الناس الى

قتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجهًا الى مكة المكرمة

استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو بن سعيد قد انطوى

على دغل نيّة وفساد طويّة وطماعية في نيل الخلافة وكان الخليفة قد فطن

لذلك الا انه يبقي عليه لتاكد حرمته واواصر رحمه فلما كان ببعض

الطريق تمارض عمرو بن سعيد واستاذن امير المؤمنين عبد الملك

في العود الى دمشق فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد المنبر

فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس الى خلعه فاجابوه

الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وحمى حوزتها وسد ثغورها

اى نواحيها وقراها

وبذل الرغائب فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه مع

ذلك ان والى حمص قد نزع من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا

يقال تشوف ... اى تطلع

للخلاف فخرج على وزرايه وبيده مخصرة يضرب بها عطفه وطلعهم

على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملككم قد استولى عليها

عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق

ومصر واليمن وخراسان وهذا النعمن بن بشير امير حمص وزفر بن الحرث

امير قنسرين ونايل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من الطاعة وبايعوا

الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل الثغور للخلاف وهذه المضرية

سيوفها على عواتقها ناظرة لنا بقتلى المرج فلما سمع وزرايه مقالته

ذهلت عقولهم وعلموا ان لا مقر ولا مفر فنكسوا رؤسهم ولم

ينطقوا فقال لهم الخليفة ما لكم لا تنطقون فقال احضرونى عقلكم

فهذا وقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم اى غناء عندنا فى

ما ينتصب على عود او حجر يومها ويدور مع استقبال الشمس صح

هذا وددت والله اني كنت حرباء على عود من اشجار تهامة حتى تنقضي هذه
الفتن ۞ قال صاحب الكتاب عفا الله عنه الحرباء دابة
صغيرة طولها اقل من شبر لها اربع قوائم وراسها يشبه راس العجل اذا اطلعت
عليها الشمس حدقتها وجعلت تراعيها ولا تصرف عنها بصرها حتى تستوي الشمس في
اعلى فلكها فتنصب على راس الحرباء فلا يمكنها النظر الى الحرباء الشمس
فتقلق وتململ وتضرب جنبيها بلسانها كما يفعل من يسوق
حمارا فلا تزال كذلك حتى تزول الشمس فتستدبر الحرباء فتقابلها
ببصرها وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها فاذا غربت الشمس
ذهبت تبتغي ما تاكل فتمنى هذا الرجل ان يكون حرباء فرارا من تلك
الفتن ۞ قال الكهل فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه
علم ان لا غناء عند الوزراء فقام عنهم وامرهم بلزوم موضعهم وركب
من فوره منفردا وامر جماعة كثيفة من شجعان اصحابه وفرسانهم
ان يركبوا في السلاح ويتبعونه مبعدين منه بحيث يرون اشارته ان

اشار اليهم ففعلوا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم

يجمع السماق فسلم عليه وآنسه بحديث خفيف ثم قال له ايها الشيخ

الك علم بمنزل هذا العسكر فقال الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا

فقال له الخليفة للشيخ هل بلغك شيء مما يقول الناس في امر

الخليفة فقال الشيخ ما سؤالك عنه فقال له عبد الملك اني اريد

اللحاق به والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة عنده قال الشيخ

ما معناه اني اراك اديبا وضيا واحسبك حسيبا سريا فهل تحب

ان انصح لك فيما انت قاصده فقال عبد الملك ما احوجني الى ما

تقول فقال الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الذي

ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرى ملكه

ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال اضطراب

اموره كالبحر في حال هيجه لا ينبغي ان يقرب فقال الخليفة ايها الشيخ

ان الحنكة لم تبلغ في مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه واني

هذا التدريس ... في

اجدها انزع الى صحبة هذا الامير نزاعا شديدا ولا بد لى من ذلك فهل لك
ان تحسن الى فتخبرنى بما تراه من الراى فى تدبيره لهذه الخطوب التى دهمته
لاعرض ذلك الراى عليه واتفق به عنده فلعله ان يكون سببا
لقربى منه فقال الشيخ ما معناه ان حكمة الله وعزته ليقضيان
بحجب العقول والاراء عن النفوذ فى بعض النوازل وانى لاظن ان هذه
النازلة التى نزلت بالخليفة من النوازل التى لا منفذ فيها للراى واكن
مع ذلك ارد مسئلتك بالخيبة فها انا اقول فيما سالتنى عنه قولا اقضى به حق
رغبتك وان كنت لا اثق براى فيه لان الخطب عظيم والخطر فيه
يضاهى عظمه فقال عبد الملك ما معناه انى لارجوا ان يرشدك
الله ويرشدنى فقال الشيخ ما معناه ان عبد الملك خرج لمحاربة ابن
الزبير فظهر من مشيئة الله صده عن ذلك بما حدث فى دار ملكه من
وثوب عمرو على منبر خلافته واستفساده لرعيته وانى مشير عليك
بان تتفقد حال عبد الملك فان رايته قصد ابن الزبير

وانتظار ما يكون منهم

الى الفلاح

انه لا يريد قصده

طاعته فاعلم انه مخذول ~~فان رايته قصد ابن الزبير او غيره~~ لانه لج في طلب ما منع
منه وان رايته رجع من حيث جا فارج له السلامة لانه مستقبل فقال له عبد
الملك فهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير او الى غيره ممن قد نكث
ببيعته وتشوف الى معصيته من اهل حمص واهل الثغور اذ كان قد ظهرت
من مشية الله انه قد قبض عنه قلوبهم وحرمه طاعتهم فقال الشيخ ما معناه
ان الذي خفي عليك لظاهر لان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في
صورة ظالم لانه لم يعطه طاعته قط ولا وثب له على مملكته واذا قصد
النعمن ابن بشير بحمص او قصد زفر بن الحرث بقنسرين امكن
ان يكون في صورة ظالم لهما لانهما امنا ولان يريان
ان ابن الزبير احق منه بالخلافة ولم يطلبا الامر لانفسهما واذا
قصد اهل الثغور كان ظالما لهم لانهم لم ينكثوا بيعته
بعد فاما اذا قصد عمرا فانه يكون مظلوما لان عمرا
رجل من رعيته طلب الخلافة لنفسه واغتصب دار ملك لم يكن

له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه ثم ان عمرا ظالم من وجه
آخر وذلك انه ابن عم عبد الملك وعبد الملك عزله وقد كان
محسنا اليه فلما خرج عبد الملك لتشييد عن نصيب عمرو ومنه
موفور غدر به عمرو وخذله ثم سعى في اجتثاثه من اصله واشمت
عدوهما معا وعلى الجملة فالامر شديد الخطر ورجوع
عبد الملك الى دمشق اشبه بالتفويض والتسليم لامر الله مما سوى
ذلك فسر عبد الملك بمقالة الشيخ وعزم على اتباع مشورته
وقال له جزيت خيرا فقد احسنت الي واني اريد ان تذكر
اسمك ومنزلك لعلي ان الفاك في غير وقتي هذا قال
الشيخ ما آلك الى ذلك قال اقضي حقك واجزي نصحك قال
الشيخ اني اعطيت الله عهدا ان لا اقبل عطية بخيل قال
عبد الملك وما يدريك اني بخيل فقال دريت لانك اجلت
مكافاتي مع قدرتك على تعجيلها ببعض ما ارى من سلاحك وبزتك

فقال عبد الملك اني ذهلت عن ذلك فخذ هذا السيف و لا
تخدع عنه فقيمته عشرون الفا فقال الشيخ قد خففت عندي
بخلك باستكثارك قيمته واعترفت ايضا على نفسك بانك ذاهل
فحسبي عطاء ربي الذي لا يبخل ولا يذهل فعلم عبد الملك فضله وزهده
فقال له اني انا عبد الملك فارفع الي ما شئت من حوايجك فقال
الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم نرفع حوايجنا الى من انا وانت له عبدان
فذهب عبد الملك وعمل برايه فانجح ٥ ولما سمع الوليد بن
يزيد كلام سميره استرجح عقله واستكثر ادبه وسأله
عن نفسه فتستر وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحيا منه وقال
ما كان ينبغي لنا ان نجهل مثلك من رعيتنا فقال يا امير المومنين
ان الملوك لا يعرف الا من تعرف اليها ولزم ابوابها فقال الوليد كلا
فلا توسعنا عذرا الا استخففته وامر له بصلة معجلة وعهد اليه
في ملازمة بابه فكان يستمتع من مسامرته وادبه حتى كان من خلع الوليد

ماهو معلوم ن قال صاحب الكتاب وها انا اضرب مثلا
في فضيلة التفويض الى الله سبحانه عند اعتزاء الامرآء في سداد الآراء
واحرص ان يكون شافيا للنفس نافيا للبس واودعه من فقر الحكم
والآداب ما يشحذ الفطن والالباب ويسفر عن وجه الصواب
ان شاء الله سبحانه خلق ثعلبين وخلق لهما فهما وافهمهما
حكمة كما فعل بهدهد سليمن عليه السلم يكونا من آبائه
عجبا وامكن ان يكون اسم احدهما ظالما ويكون له مسكن
ياوي اليه مغتبطا به لا يريد به بدلا ولا يبغي عنه حولا فيخرج منه يوما
يبتغي ما ياكل ثم يرجع فيجد فيه حية فينتظر خروجها عنه فلا تخرج
فيعلم انها قد اوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا وتدخل الجحر فيغتصبها
وتطرد عنها ما كان فيها من الحيوان قال الراجز يصف رجلا
بالظلم ؛ فانت كالافعى التي لا تحتفر
ثم تجي ما كره فتنجحر

ولذلك قالوا فلان اظلم من حية فهذا ظلمها ولما راى ظالم
ان الحية فذاوطيت حجره وان الكون معها لا يمكنه ذهب
يطلب لنفسه ماوى فانتهى في نطوافه الى جحر حسن لظاهر
حصين الموضع في ارض خصبة ذات اشجار ملتفة وماء معين وتعجبه
وسال عنه فخبر له لثعلب يدعى مفوضا وانه ورثه عن ابيه فبادر به ظالم
فيخرج اليه وترحب به ويدخله الجحر وسئله عما قصد له فيقص
(ثم قال مرحبا بك)
عليه خبره ويشكو اليه ما ناله فرق له مفوض ثم يقول
له ان من الهمة ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك
في ابتغاء هلكه وانه كان يقال من تهيب عدوه فقد جهز الى نفسه
جيشا ٥ وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة وكان يقال الموت في
طلب الثار خير من الحيوة في عار ٥ وكان يقال اذا طالبت عدوك
بالقوة فلا تفر من عليته حتى تعلم ضعفه عنك واذا طالبته بالمكيدة
فلا تعظمن امره عندك وان كان عظيما ثم يقول مفوض الراى عندي

ولا تفر من عليته حتى تعلم ضعفه عنك صح

ان تنطلق معي الى ماواك لاطّلع عليه فلعلّي ان اهتدي الى وجه مكيدة
في تمكينك منه وطرد الجبة عنه فانّ افضل الراي ما اسّس على الروية
ولهذا قيل يفسد التدبير ثلثة اسباب احدها ان تكثر الشركاء
فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير وبطل والثاني ان يكون الشركاء
في التدبير متحاسدين متنافسين فيدخله الهوى والبغي فيفسد والثالث
ان يملك التدبير من غاب عنه دون من باشره وشاهده فاذا كان ذلك
دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الفرص ثم انّ تدبير المسموعات
مؤسّس على ظنون الخبر وتدبير المبصرات مؤسّس على يقين النظر
فينطلقان معًا الى جحر ظالم فيتامّله مفوّض ويعلم ما اراد علمه من امره
ثم تقبل على ظالم فيقول له قد شاهدت من امر مسكنك ما فتح لي باب
المكيدة ولكن اضعف الراي ما ينتج للمرء بالبديهة ٥ وكان
يقال الراي مرآة العقل فمن اردت ان ترى صورة عقله فاستشره
وكان يقال افضل الراي ما كثرت الفكرة نقده واحكمته الروية

عقده وكان يقال الراى سيف العقل ولما كان امضى السيوف

ما كان عناية القين بارهاف ظبته والمبالغه فى شحذه وصقله

كان انجح الاراء ما بولغ تشحيذه واطيل تامله وكان يقال كل راى لم

تشحذ السكين حدده

يتمخض به الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ثم

غير تام ح

يقول له بت الليلة عندى لا اطلعك فى غد على راى فبات مفوض

مفكرا فى ذلك وبات ظالم مبتهجا بمسكن مفوض مفكرا بدبيب

الحيلة فى غصبه ونفى مفوض عنه لما يرى من سعته وطيب تربته وحصانته

نزهته ح

وتيسير مرافقه ٥ [illegible] وكان يقال اللئيم كالنار اكلها اضرامها

وكالجمر حسيها سلبها او يتبعها ضررها ❀ وكان يقال اذا كانت

الاساءة طبعا فلم تملك الاحسان لها دفعا ❀ وكان يقال العاقل

يقدم التجربة على التقرب والاختبار على الاختيار والثقه

على المقة فاذا اصبحا قال مفوض لظالم انى رايت مسكنك بعيدا

من الشجر والمنجم فاصرف همك عنه وهلم اعينك على احتفار مسكن ههنا

الموضع المتيسر المرافق فيقول له ظالم هذا يشق علي لان لي نفسا
تتقطع لفراق الوطن حنينا ولا تملك مع فقد السكن سكونا
وكان يقال دلايل الوفا تسع بر الاباء والامهات وصلة ذوي القربات
والنزاع الى الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق
الشباب واللبس لاخلاق الثياب واللزوم لمن طالت صحبته من
الاصحاب والخدم والدواب ٥ وكان يقال الغربة مثبت الاحياء
اعادة البين اثرا بعد عين ٥ قيل ان حروف اسم الغربة مجموعة من اسما
تدل على معنى الغربة فالغين من غيبة وغرور وغبن وغم وغلة
وهي حرارة الحزن والظما والراء من رزء وروع ورغب ورنق وهو
الكدر وردي وهو الهلاك في اشباه لهذه الاسماء
والبا من بلوى وبوس وبعد وبرح وهي الداهية وبوار وهو الهلاك
في اشباه لهذه الاسماء واذا سمع مفوض مقاله ظالم امكن
ان يقول له اعلم انه لا غنا بالمشبين عن معرفة المتنشين فان جهلها

الغم الحديد

الرز الحديدة التي توقد فيها النفط

كدر

لم يبعد ان يكون استشارته عليه وبالا وتزداد برايه خبالا كالطبيب

الذي لا يصلح ان يصف دواء حتى يعلم سن العليل وتركيب بنيته ويقف

على اسباب دوائه حتى يعلم سن العليل وتركيب بنيته وعلته وعلى

عادته في اغذيته وادويته ويتحقق طبيعة زمنه وهواء بلده فمتى اكتفى

بالدلالة على دوائه او نفعه فيما هو اشد من دائه ؞ وغير بعيد ان يكون

معنا لك كاسمك فتكون مواخذا بجرم ومعاقبا على ظلم فان كان

الامر هكذا فطلبك الخلاص مما كرهت كتخبط المصيد في الشرك

فانه يتجاذبه نصبا وربما اورثه عطبا ولعل صايده يريد ان يتملكه

لا ان يهلكه وان لم يكن مواخذا بجرم ولا معاقبا على ظلم فاعلم ان ما

نزل بك مشكل واولى ما يلقى به مشكل النوازل المفوض

الى من انفرد بقدرتها وعلمها واخفى حكمته في حكمها ؞ وها انا

اضرب لك مثلا تجتلي به كلمة رايعة وتجتني منه حكمة بالغة

فان المثل الرايع مغناطيس الطابع وذلك ان الامثال اهز من المثلات

للطباع واجول منها في الامثلة والاسماع كما ان التصاوير
اعلق بالابصار مما جعلت له تمثيلا ونصبت على صورته الاصلية
دليلا وهكذا ما نسب من الكلام الى البهيمة العجماء
اعلق بالاسماع مما نسب الى العقلاء الحكماء قال
صاحب الكتاب فاقول لو ان طاووسين ذكرا وانثى يسمى
الذكر منهما الزبرج كانا لرجل معجب بهما محسن لهما وكان
بصيرا بادواء الطير وادويتها فراى يوما ريش الزبرج قد تغير الوانه
وعلم ان ذلك التغير منذر بظهور مرض خطير وان
دفع ذلك المرض ورفعه بان ينتف ما عظم من ريش
الزبرج ويحبس عن السفاد ويقل طعمه ويخلط بماكول له
ومشروبه دواء يبشع الطعم ففعل ذلك وجزع الزبرج لما ناله جزعا
شديدا وكان يقال الجزع المصيبة الحادثة مصيبة ثالثة وتفسيره
(الجزع ضد الصبر)
ان من جزع حرم الاجر على مصيبته ثم دخل على نفسه الاذى بالجزع

فصار مضاما بثلث مصايب ٥ ثم ان الزبرج بينا هو في محبسه راى
ديكا بالسبيبه يسمى الحراب من جنس الديوك صورة وريشا وهو في
مراح وصياح فيزداد الزبرج لرؤية الحراب اسفا ولو ان الله سبحانه
جعل لهما فطنة والهمها حكمة كما فعل بهدهد
سليمن عليه السلم لم يكونا من آيات الله عجبا ولامكن ان يقول
الزبرج للحراب ايها المعافى اتراك ترثي لمثلي حل بنه وبين الفه وسلب
رياشه وضيق محبسه وافسدت عليه طعمته فيرق لبلواه ويصغى
الى شكواه ولعلك ان تعرف له فرجا وتملك له من امره مخرجا
ولامكن ان يقول الحراب وما الذي يصرفني عن ذلك وقد علمت
ان افضل ما شكرت به نعمة اهل السراء كشف غمة اهل
الضراء ٥ وكان نقال الاجساد كلها كجسد واحد في الصلاحية
لقبول الضر فالموفق من اهل العافية من نظر الى البلاء النازل بغيره
وكانه كان نازلا به فانعم عليه باذهابه ثم تفقد معوده وايابه

فهو ابدا شاكر لانعام وجاذر لانتقام ۞ وكان يقال ان النعم لا تعلم
حق علمها في حال وجودها ودوامها بل بعد فقدها وانعدامها فكيف
يشكر حق شكرها حين لا يفتقد حق فقدها ۞ وكان يقال
لا يكون الانسان شاكرا للنعم حتى يجتمع له اربعة اشياء
المواساة فيها والاستعانة بها على طاعة موليها والاشادة بذكرها
ويقين العجز عن القيام بحقيقة شكرها ثم تقول الحرباء للزبرج
ويلزمنا ايضا ان نعترف بفضيلة الانسان المشرف بفضيلة العقل ومزية
العلم المستحق لبسط القدرة علينا وتصرف المملكة فينا وانه اذا
اتى الينا ما نكرهه بجناية منا كان عاملا فينا بعدله او لغير جناية
منا كان متصرفا في ملكه حكيما في فعله فيقول الزبرج الامر
على ما ذكرت فيقول له هل تعلم انك زللت باجترام او اخللت
باجترام فيقول الزبرج لا اعلم ذلك فيقول له الحرباء ان كنت
صادقا فيما اعترفت به لسيدك يلزمك التفويض اليه وترك الاعتراض

عليه ❊ وكان يقال ان سخط العبد لحكم سيده ان كان لحقه
وفرار من رقه كما ان سخط قضاء القاضي تجوير لحكمه او تجهيل
لعلمه ❊ وكان يقال ما تحقق بالعبودية من لم يسره من مولاه ما يضره
من سواه ويمكن ان يقول له اسمع حديثا لعله ان يوسع عليك
من الحرج ويهدي اليك اوج الفرج ❊ مثل كان ملك له وزيران صالحان
مناصحان احدهما ناسك قد راض نفسه على التزام وظايف العبادات
واجتناب كثير من الشهوات المعتادات وكانا قلما يتفقان
على راي فاتعبا الملك اتعابا شديدا باختلافهما ولم يجد منه وجها
عن صرف احدهما فظهر له من التدبير في تعيين المصروف منهما
ان اتخذ بيتا فيه مخدع خفي وامر رجلا امينا عنده ان يدخل ذلك
المخدع واعلمه انه يحبس الوزيرين في البيت وامره ان يحفظ اقوالهما
واحوالهما ثم قبض على الوزيرين بغتة فحبسهما في البيت وامر فسد
عليهما بابه بالصخر الا كوة يدخل منها طعامهما وشرابهما فلبثا يومهما

لا يكلم احدهما الآخر حتى اذا جن الليل عليهما قال الذي

ليس ناسكا لصاحبه كيف تجد نفسك في هذا البلاء قال

الناسك مؤمنة بالقدر مسلّمة للقادر سبحانه قال

الآخر لكنني اجد نفسي جياشة مضطربة فمن اين اتينا فما تظن

قال الناسك اني فتشت نفسي في معاملة ابي فما عثرت

على شيء اكرهه وفتشتها في معاملة الجند والرعية فوجدت

قبلي مظالم قد خرجت الى اصحابها وبالغت في ارضاهم وفتشت

نفسي في معاملة ربي سبحانه فوجدت ذنوبي اكثر من ان يحصى غير اني كنت

احاسب نفسي كل يوم وليلة فاتوب واستغفر واجتهد في ازالة

الكفر وما اظنني اتيت الا من سوء معاملتي لربي سبحانه فقال

الآخر لكنني اظن ان قد لانا سعي في لمنافسته اياي في خطوتي

عند الملك فماذا ترى قال الناسك رأيي ولك ان نشرب

قلوبنا التسليم لامر الله سبحانه والتفويض الى مشيئته فان الذي نزل

اى يكون التسليم محبوبا في قلوبنا كما في قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اى حب العجل

بنا امر منهم تعمه القلوب عند تامله وتضعف عن تحمله قال

الاخر لكني قد سنحت لي اراء فلم ارض منها الا ان اكتب الى الملك

اي عرضت

فابحه ما لي على ان تخلي سبيلي فالزم بيتي واعبد ربي قال الناسك هذا

راي فايل لان فيه جر النميمة وفيه نسبة الملك الى الشره وفيه الياس

من روح الله وباتا واصبحا فاتيا بقرص واحد فقال الناسك لصاحبه

كل فقال اخاف ان يكون مسموما فقال الناسك لكني

اكل رزقي وافوض امري الى ربي واخذ نصف القرص فاكله فوجد

فيه فصا من الياقوت نفيسا وباتا واصبحا فاتيا بقرص اخر فاخذ الناسك

نصفه فوجد فيه فصا اخر ثم كذلك من الغد وامر الملك باخراجهما

واخبره امينه بما راى وسمع منهما فاحضرهما وسالهما عما قالا

سيالهما صح

وعملا في محبسهما فصدقاه واخرج الناسك الفصوص فقال

اني وجدت هذه فيما اكلت ولم يكن يصلح ان افتش نصيب غيري فقال

الملك ان الله حرم غيرك وصنع لك وذلك لتفويضك امرك اليه ولم يكن

في الارصفة سواها واني اردت امتحان رايكما لانفسكما فاما صاحبك
فاتبعته الوساوس ووقع في تهمة البري بحسده والسعي به وفي تهمتنا
بالبغي عليه والسم له والشره الى ماله واما انت فعجلت الراجحة من اداه
الراي في الامر المجهول موجبه المستور سببه ففوضت الى ذلك
وعذقت الملامة بنفسك فاترك الله بحفظنا وخصك بموازرتنا
فاشكر من صنع لك وازدد من التعويل في المعضلات عليه
والتفويض في المشكل لانه اليه اتخذ به وزيرا وصرف صاحبه
موفورا فان وعى الوزير هذا المثل المقول والحديث المنقول
كان حقيقا بالتفويض الى سيده الذي اعرض حكمته ولم يرض
قسمته ويوشك اذا ارتبكته اهواؤه واحتسمت بالمجاهدة لنفسه ادواؤه
ان ينعمه سيده فيتوفه ويكرمه فيتلفه وهذا حد انتهاء القول
المنسوب الى مفوض اذا دعاه ظالم امكن ان يمجه سمعه ويغلب
عليه طبعه فيقول لمفوض اسعفني بالراي الذي سنح لك في امر الحية

المتحير على فيجيبه بان الراى ان تجمع حطبا الى باب مسكنه ثم تشعل

فيه نارك فيلج الدخان عليهما فان اقاما فان الدخان يخنقهما وان خرجا

فالنار تحرقهما فيسر بذلك ظالم وينوى ان يفعله بمفوض ليظفر بمسكنه

ويبيت عنده فاذا مضى جنح من الليل خرج فيحتطب ويفقده مفوض

فيظن انه ذهب الى مسكنه ليفعل ما اشار به عليه وكان

مسكنه بعيدا فيتبعه ليعينه ويحتطب ظالم ويسد بالحطب

باب مسكن مفوض وما يليه ثم يقتبس ويضرم النار فيعمل

فيما فوق باب الجحر عملا شديدا واذا احميت النار دخل ظالم الجحر

والدخان فيه وتداعى ما فوق باب الجحر فانهار وردم الباب فهلك

وكان نقابل لما حضر من تدبيرك على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك

ونب هالك بما دبر ومكر وساقط في البير التي احتفر وجرح

بالسلاح الذي شهر ٭ واذا انتهى مفوض الى مسكن ظالم فلم يجده

عاد الى بيته فاذا علم حقيقة امر ظالم امكن ان يقول صدق من قال

الباغي باحث عن مدية حتفه بظلفه ومتردٍ في مهاوي ندمه بمساوي ندمه وصدق من قال ثمن الغضب مهزول ووالي الغدر معزول وجيش العدوان مفلول وعرش الطغيان مثلول وصدق من قال ما اعطى البغي احدا شيئا الا اخذ منه اضعافه وصدق من قال لكل عاثر راحم الا الباغي فان القلوب مجمعة على الشماتة بمصرعه

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل لما عزم امير المؤمنين الامين رحمه الله على انتزاع الخلافة من اخيه عبد الله المامون رحمه الله وكان المامون اذ ذاك حاجته الى الفته ومفاوضته في مهم عظيم تضيق عنه الكتب واكد في تعجيل القدوم عليه وكتب الى المامون جواسيسه ببغداد ان الامين يريد ان يحول الخلافة عنه الى ولده موسى ابن محمد الامين فاطلع المامون خاصته على ذلك كله واستشارهم فاشاروا عليه بالتثبت وانتظار الفرج والاعتذار الى اخيه عن التخلف فكتب اليه يذكر شغب اهل خراسان وتطلع

ملك[illegible]

[illegible]

من يجاورها من ملوك الكفار الى الفرصة فيها وانه لا يجد كافيا
يستقل بضبطها فاعاد الامين مكاتبته يستجيئه ويعده سرعة
عوده وقلة لبثه ببغداد ويعظم الامر الذي يدعوه له ويخوفه
مضرة التهاون به فشاور اصحابه فثبتوا على رايهم ونهوه عن مفارقة خراسان
فاجاب الامين عن كتابه بنحو من جوابه الاول وكتب الى الامين عيونه
بخراسان بان المامون قد فطن لما يراد به وانه ممتنع حاذر وان وزراه
قد اجمعوا على نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك من
نجح مكيدته وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المامون واصحابه
ووكلائه وقبض ما علم من امواله وبلغ ذلك المامون فخامره الجزع وشاور
اصحابه فاشار عليه الحسن بن سهل وغيره من خاصته بالتثبت والتفويض
الى الله سبحانه وانتظار الفرج ففعل ولما راى الامين اصرار اخيه
على الامتناع دعا الناس الى خلع المامون من عهد الخلافة والبيعة
بها لابنه موسى وكان موسى اذ ذاك طفلا فاجابه الناس الى ذلك

وبايعوه وسمي موسى الناطق بالحق وقال بعض اهل العلم ولم يكن موسى يومئذ
ينطق بحق ولا بباطل واستكفل له علي بن عيسى بن ماهان وكان
علي هذا قد ولي خراسان قبل ذلك مدة فاصطنع في اهلها جلائل
الصنايع واعتقد المنن في اعناق الرجال وكان شانه بخراسان
عظيما فاستشاره الامين في امر خراسان فضمن له ما يريده منها واخبره
انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه ممن بها اثنان فجهزه باحسن جهاز
وولاه كل بلد يقدم عليه واعطاه اموالا جزيلة وجهز
معه جمهور جنوده واصحبه من السلاح والكراع ما شا وبلغ
ذلك المامون فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى
فركب الى منتزه له ليباسط خاصته في تدبير امره فعارضه
شيخ هرم مجوسي من الفرس فناداه بالفارسية مستغيثا
به من مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له وامر ان
يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي كان قاصده

ويدخل عليه بغير استيذان ولما استقر المامون وصحابته بذلك
الموضع الذى قصده دخل عليه الشيخ الفارسى فامره بالجلوس في
حاشيته المجلس ثم اقبل على خاصته فاخبرهم بما انتهى اليه من شان على
بن عيسى بن ماهان وامرهم باداره الراى في ذلك وهو يظن ان
الشيخ الفارسى لا يحسن من اللسان العربى شيئا وان ما به من الهرم
شاغل له عن الاصغاء الى ما هم فيه فلما راى القوم ان المامون لم يتحفظ
من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا له فقال احدهم الراى اصطناع
اجناد من الاعاجم الذين لا يعرفون على بن عيسى فنلقيهم وقال
غيره الراى ان نبادر بالارسال الى الامين معتذرا ومنقادا
لما يريده اليوم ومنتظرا لنصر الله غدا فانك مكره على الخروج
عن عهد الخلافة اكراها لم يخف على احد فهو حق ينبغى امكان
طلبه لنت فيه على حجة ظاهرة وقال غيره الراى ان يجمع
من تثق بهم لانه من اهل النجدة ثم تزيح عللهم وتقصد بهم بعض

هذه الممالك الكافرة المجاورة لنا مضادة فهم القتال ولعل الله ان
يظفرنا بهم فنصير الى مملكة منيعة تؤوينا ويمنع الينا من كان
على مثل راينا فيمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره
وقال غيره الراي عندي ان نحاز الى ملك الترك مستجيرا به
ومستعينا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم يزل الملوك
تفعله اذا دهمها ما لا قبل لها به فلما سمع المامون هذه المقالة
من الهاشمي افكر وقال كيف اجعل للترك على حرب المسلمين
سبيلا كثيرا قال لاصحابه قوموا عني والتفت فراى الشيخ
الفارسي فادناه ورفق به وساله عن حاجته فقال الشيخ بلسان
عربي ما معناه واللفظ لي اني جئت لحاجة فعرض لي ما هو اكد
منها فقال له المامون تكلم بما في نفسك فقال اني دخلت
على الامير وانا غير متصف بالحب له ثم قد القيت له محبة في قلبي
وكان يقال الرق ثلثة انواع فاولها واوعبها رق الاخراج فهو رق

المصنوع لصانعه الذى اخرجه الى عالم الكون واما رق الاصطناع
فهو رق المنعم عليه للمنعم واما رق الابتاع فهو صنفان احدهما
رق الحب وهو افرهما الى رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا
على الباطن والظاهر والثانى رق الرعية لراعيها ورق العبيد
لساداتها قال الشيخ وقد نظافرت لك على ايها الامير ثلث قوى
من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الابتاع فان رايت
ان تلحقنى باوليايك فافعل فاطرق المامون مفكرا فى كلام
الشيخ فقال للشيخ لانصدن الامير عن حقانه فدرى عنه
وكان يقال لاتحقرن من الاتباع احدا فانك تنتفع به كاينا
من كان وهو احد رجلين اما شريف فتتجمل به واما وضيع فتحمى عرضك
ويصون مرونك ثم قال الشيخ على انى لست اعنى بحقانه فدرى
عند الامير حقانه اخلاق ولاحقانه اعراق فاما اخلاقى فانتحاها
بيد الامير واما اعراقى فانى برهمى من ولد البرهمن سيد الملوك لفدنس

المتوسط بها وبين عقله العلل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني
في عقد ذمة وصغار جزية فقال له المامون ما بناعنك ايها الشيخ
من رغبة وان اشفقت من ذمتك الى ملتنا الحنيفية فقال شعارا فقال
الشيخ ان الباعث من نفسي الى ما دعاني اليه الامير شديد ولكني
لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله فيما بعد ثم قال ان اذن
الامير ان اتكلم على ما فاوض فيه اصحابه الآن فان عندي منه علما
فقال له المامون تكلم فقال انه قد سمعت ما اشار القوم
به وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى شيئا منها مما ذهبوا اليه
واني اجد في الحكم التي اخذها اباي عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه
ما لا قبل له به ان يلزم قلبه التسليم لاحكام الحكيم واهب
العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع
بحسب طوقه فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال
المامون انه كان يقال لا راي لكذوب وقد سمحت انفسنا لك

بالثقة والطمانينه من غير امتحان وما ذاك لانا نختار اضاعة الحزم

ولكنا احببنا ان نذيقك ثمرة جنينا بالمكاشفة الدالة على

القبول وها نحن نخبرك ان هذا الرجل المتوجه الينا وهو علي بن عيسى

بن ماهان املك منا بالبلد ثم لانملكنا مقاومة لو اردنا

ذلك لتعذر الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي

ان تمحو هذا من نفسك بالجملة ولا تصغي الى من نطق به قال

صاحب الكتاب عفا الله عنه كان يقال ما كثر من كثرة البغي

ولا قوي من قواه الظلم ولا ملك من ملكه الغضب قال

الشيخ ها انا احدثك ايها الامير حديثا عن ملك من الملوك اذ وجدت

مثاله نلت مناله فقال المامون هات فقال الشيخ ان

اخشنواز ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس

واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه ولا يقصده

بمكروه وجعل في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة وافق فيروز

28

ان لا يتجاوز احد منهم تلك الصخرة بجيش ولا مكر وه ولما استوثق

الخشوار من فيروز بما اخذ عليه من عهود المسايلة الطلفه وحين

رجع فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة على غزو

الخشوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه

عاقبة البغي فما ردعه ذلك عما هم به فاذكروه ايمانه التي حلف

للخشوار ان لا يتعدى الصخرة التي وضعها في تخوم ارضه فقال

لهم اني انما عاهدته على ان لا اتجاوزها وانا امر من يحملها على فيل بين يدي

جيوشي فلا يتجاوزها احد منهم فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد

الرضا بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه

واعتقدوا ان لا يراجعوه في ذلك قال صاحب الكتاب كان

يقال الهوى صدا يعلو العقل فلا تنطبع فيه صور الحقايق وكان

يقال مالم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا ابلغ اللجاج

فذلك زين السكر وكان يقال لا يرشد تابع هوى في حال

كان يقال من اعجب برايه ضل ومن تكبر على الناس ذل

استيلاء الشهوة والغضب عليه لانهما حال اصحاب غفلة وذلك
ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه عليها فاما سلطان العقل
فطارئ مستفاد وللعقل حجابان وهما الغضب والشهوة فلا
يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم يحجبه غضب او شهوة
فحينئذ يتسلط سلطان الهوى وينفذ حكمه قال
الشيخ يجمع فيروز مرازبته وهم اربعة تحت يد كل رجل منهم خمسون
الف مقاتل يضبط بهم ربعا من ارباع مملكته بابل وامرهم بالتجهز
لحرب الهياطلة ففعلوا وسار فيروز في جنوده التي يظن ان لا غالب
لها وكان اخشنوار يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبة فيروز وانما
كان ظفره به اولا لمكيدة ليس هذا موضع ذكرها
وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا الاسم حافظ حفظة الدين وهو
عند الفرس كالنبي قال لفيروز حين علم عزمه على غزو اخشنوار
ان لا يفعل انما الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم

يأخذوا

يأخذوا في هدم أركان الدين فاذا أخذوا في ذلك لم يمهلهم وان العهود
والمواثيق ركن من أركان الدين فلا تتعرض له بسوء فلم يلتفت فيروز
الى هذه المقالة وركب رأسه في معصية نصحائه ❁ وقال صاحب
الكتاب وكان يقال يستدل على ادبار امر الملك بخمسة امور
احدها ان يستبد في الاحداث الذين لا خبرة لهم بمصادر الامور
والثاني يقصد اهل مودته بالاذى والثالث ان ينقص خراجه
عن قدر مؤنة ملكه والرابع ان يكون تقريبه وابعاده
للهوى لا للراى والخامس استهانته بنصائح العقلاء واراء ذوي
الحنكة ۝ وكان يقال من عصى نصيحا فقد استقاد عدوا
وكان يقال انما يكون قبول الصواب او رده بحسب قوة
التخيل الفكري وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان
الراى غالبا ومن ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا
وعلى هذا فمن عدم الفكر في الامور التحق بالبهائم فاكـ

ان صح

الشيخ وسار فيروز بجيوشه حتى انتهى الى تلك الصخرة التى تركها
علما حاجزا بين ارضه وبين ارض الخنشوار فامر بها فحملت على فيل وسيرها
بين يدى الجيوش فما ابعد حتى اتاه آت فاخبره ان اسوارا عظيم القدر
من اساورته قتل رجلا مسكينا ظالما اثما جاء اخو ذلك المسكين
المقتول فاستغاث بفيروز وسأله ان يقتصه من قاتل اخيه فامر له
فيروز بمال يرضيه به من دم اخيه فامتنع من قبول المال وقال لا
يرضيني الا قتل قاتل اخي فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى
ذلك الاسوار الذى قتل اخاه فشد عليه بخنجر فى يده فلما رآه
الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى ذلك الى فيروز فعجب منه
وتقدم الى افضل وزرائه فنزل عند دابته وسجد له فسأله فيروز
عما يريد فذكر انه يحتاج الى ان يخلو به فامر فيروز فضرب
له قبة فى ذلك الموضع ونزل فيها واحضر وزيره فسأله عن خطبه
فقال له الوزير ايها الملك السعيد ملك الاقاليم السبعة

وعمرت عمر سنوار اسف في مثل غرته وقوته لقد ظهرت عناية
الرب الاعلى لك لما ضربته من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا
نجدا فر من مسكين في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وغدره
فقال الملك انه لم يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا لاجل فعلته
السابقة التي لا يامن ان نعاقبه عليها فقال الوزير ارايت ايها
الملك از دعوته الى مبارزة هذا المسكين وامنته من سطوتك
فظهر عليه المسكين اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك الله
قيم العوالم فقال الملك لافعلن ذلك واحضر الاسوار وامنه
وامره بمبارزة المسكين لطالب بدم اخيه واتى هناك المسكين
وفرضت عليه مبارزة الاسوار فاظهر الرغبة فيها والحرص عليها
فخوف من اهل الدار فلم يخف فقيل له اما ترى درعه وسلاحه وفرسه
اما سمعت بنجدته وشجاعته انك مهلك نفسك مستميت ولا اثم
علينا فيك فقال لهم ما معناه دعوني واياه فانه على فرس الغرور

وانا على فرس البصيرة وهو لابس درع الشك وانا لابس درع الثقة
وهو مقاتل بسيف البغي وانا مقاتل بسيف الحق فقال
الوزير لفيروز ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلبة والموعظة
من ظفره بهذا الاسوار فاستبق هذا اسوارك ولا تعرضه للهلكة
وارض هذا المسكين من دم اخيه فان لم يرض فاقض له بالعدل
المعهود منك فقال الملك لابد من ان تلقاه ان كان المسكين
يريد ذلك فاختار المسكين لقاءه ورغب فيه ثم ان كل واحد
منهما نزل نحو الاخر فضرب الاسوار ذلك المسكين ضربة تطاطا
لها فاصاب ذباب السيف اليته فاثر فيها اثرا ليس بالشديد وقبض
المسكين على لجام فرس الاسوار ثم ضربه بالخنجر في عنقه وجذبه
فصرعه ثم ضربه ضربة اخرى فادخل حلقات من الدرع في جوفه وقضى عليه
فبات فيروز في مكانه ذلك يدبر رايه ثم انه استنقاد لهواه فنفذ
لوجهه قال صاحب الكتاب كان يقال اول الهوى هوى

قتل اسوار كسرى المسكين لنفسه

ثم ان

وآخره هون وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها
عسر اخمادها وكالسيول اذا استحكم مدها تعذر صدها
قال الشيخ ولما بلغ الخشنوار قصد فيروز اياه في جيوشه حمل
نفسه على التثبت ووكل الامر الى الرب الاعلى وساله ان يغضب
لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها ولا خاف تبعة نكثها
واخذه مع ذلك بحظه من الحزم فسد ثغوره وجمع اليه جنده
المبه واعد للقاء عدته حتى اذا انتهك فيروز حرمته ووطى بلاده
وتوسط مملكته وعاث في ارضه وساء على رعيته اثره نهض اليه
ففاجاه وصدقه الجلاد فانكشف فيروز منهزما واسلم ما كان
بيده فقتل الخشنوار رجاله وغنم امواله وامعن في طلب فيروز حتى
ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه قبل فلما سمع
المامون ما ضربه له الشيخ مثلا سر به وقال ايها الشيخ قد سمعت
مقالتك فصادفت منا قبولا وشكرا عليها وسرورا بها فما

ذا ترى فيما دعوناك اليه من توحيد الله الذى اجزل من العقل حظك

ووفقنا بالمعرفة فكرك وانطلق بالحكمة لسانك وقطع

بمحمد صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا

الله واشهد ان محمدا رسول الله فسر المامون باسلامه واجزل له عطيته

والحقه بخاصته اصحابه فما لبث الا يسيرا حتى لحق بربه عز وجل وعمل

المامون برايه فانجح الله عمله وبلغه من الخلافة امله

السلوانة الثانية وهى سلوانة التاسى

انزل الله سبحانه من السورة المذكور فيها الاحزاب آيات

معجزات طبقت المفصل المقصود من هذا الكتاب وهى تاسى الملوك

فى طوام العوام والله ربنا المحمود على الهداية اليها والدالة عليها

وذلك قوله سبحانه فى المنا لبين على خليقته فى ارضه الداعى الى

مندوبه وفرضه صلى الله عليه وسلم تسليما اذ جاؤكم من فوقكم

ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب

الحناجر وقوله هنالك ابتلى المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقوله في
تردد من ضعف بصيرته اذ ذاك وتظنون بالله الظنونا وقوله في
ظهور النفاق وجراة اهله على اعلان ما كانوا يسترونه
حين راوا ان المومنين قد ابتلوا وزلزلوا واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله في القاعدين
عن نصرة الحق المخذلين عنه قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلم الينا الاية وقوله فيهم واذ قالت طايفة منهم يا اهل
يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله في المتسللين لواذا ويستاذن
فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا
وقوله في تجار اسواق الفتن الذين يتبعون كل ساع ويستجيبون لكل
داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما
تلبثوا بها الا يسيرا وقوله في تعجيز القدر عن مغالبة القدر قل لن
ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الاية والتي تليها

من اراد نصحهم

من قوله من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم رحمة فهذه جمل
طوام العوام والامتحان بها ثم ان الله سبحانه دل من امتحن بها وبغيرها
من المحن على ما ادب به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة والادب المشار اليه هو التاسي
قال الله سبحانه لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا وقوله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ثم عرف الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم ان اضاعته التاسي وتركه العمل
به لا يجلب اليه حظا فقال عز اسمه وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
فتاتيهم باية ونص على ان التاسي مفروض عليه بقوله فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ادبني فاحسن
ادبي فالتاسي مما ادب الله به رسوله بل مما افرض الله عليه مما تلوناه

الحزم

فهذا امر جزم

ومعنى التأسى على ما ذكره الائمة ان تنظر الى غيرك اى حزنه

وانه مثل اساك اى مثل حزنك فتصبر ولا يعجبنى هذا فهو عندى ماخوذ

من قولهم اسوت المريض والجرح اى داويتهما والاسى هو الطبيب وكان

معنى التأسى التطبب والتداوى بالصبر والاسوة اسم من هذا

والتأسى تفعل من الاسوة ولو كان على ما ذهبوا اليه لكان معنى

التأسى التحزن يقول اسيت اى حزنت لانه تفعل منه ❊

خبر نبوى فى التأسى

مما رويناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل

منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا

نعمة الله عليكم ٥ قال صاحب الكتاب ان هذا

الخبر حسن الموقع مما نحن فيه ولا ينبغى ان يقصر بلفظه عن مطلق

افهامه وموجب عمومه والذى يوجبه عمومه انه امر من كان فى نعمة

دقيقة ان ينظر الى من هو فى نعمة ادق منها وامر من كان فى بلاء

ان ينظر الى من هو فى بلاءٍ اشدّ من بلائه فانه دونه واسفل منه فى حظ
المعافاة المطلوبة وحظ هذا المخفف عنه اوفر واعلى فذو
النعمة منعم عليه ومحسن اليه بما يفوق ما انعم به على غيره وذو
البلاء منعم عليه بنقص بلائه عن بلاء غيره ومعافاته من الابتلاء
بتلك الزيادة التى ابتلى بها غيره وانما كان هذا الجزء بليغا فى باب
التأسى لانه ينقل مستعظم البلاء الذى نزل به الى ان يستصغره
باضافته الى ما ابتلى به غيره ويحثه على شكر ما فضل به من حظ
تلك المعافاة فهذه درجة اعلى من درجة التأسى المطلق لان
التأسى المطلق لا ينفعه على شكر ولا يتصور النعمة المخففة
عن غيرها فى صورة النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث
يثمر الصبر والشكر

يتقبل حقاله

اسجاع وابيات حكمية فى التأسى

التأسى محنة البلاء وسنة البلايا التأسى درج الاصطبار كما

ان الجزع دَرَكُ النبات ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صورة
العواري المرتجعة والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها
وجور المنعم عليه اذا استردها كما ينبغي ان لا يذهل عن
حظوظ جنسه منها ودولتهم فيها فاذا زالت عنه وصارت اليهم لم
ينكر اخذهم انصباهم وتفاضلهم حظوظهم وليتاسّ بصبرهم
عند حوزه لها دونهم فيصبر لدولتهم المخالفة كما صبروا
لدولته السالفة وكان صدقة المتصدقين واقتراض المقترضين
وضيافة المضيفين وما يلتحق بذلك من ضروب المواساة في المال
والقوة والجاه انما ندب اليها المواسون فيها ليستحقوا اليكم
باعطاء الجنس حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها
فيعاز والله المستعان انشد في بعض الملوك لنفسه في شدة نزلت به

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المجد الاعز الاعز
ولنا انفس عوارف بالدهر تاسي حين الاسى يستفز

وحضرته يوماً من ايام شدته فانشدني لنفسه

قرني دهري فلم يكفني اطمع في تابد نفرته

ثم تباعتني فلم يكفني اجزع من اصناف هفدته

قال آخر فقلت

والحمد لله على حكمه فقوتي منه وحولي به

وقال يوماً حادثته فيما بعثه على المناهي وانشدني في المناسي

شعراً فانشدته قول الخنساء

الا يا صخر لا انساك حتى افارق عيشتي وازور رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتأسي

فقال لي هذا اخلق من طيلسان ابن حرب

وانشدني لنفسه

تفيض كما يفيض النيل جوداً وتقدم مثل اقدام الحسام

35

وان نزلت بنا كبر المنايا تأسينا بأملاك كرام

روضة رائقة ورياضة فايقة

قيل لما عزم سابور ذو الاكتاف بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم

متنكرا متجسسا نهاه نصحاؤه عن ذلك وحذروه التغرير

بنفسه فيما يمكن الاستنابة فيه فعصاهم وامرهم بكتمان امره

ونفذه لوجهه ٥ قال صاحب الكتاب اشقى الناس

وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيات من الشيوخ ٥

وكان يقال انما عسر صرف الاحداث عن غي الهوى الى رشد

الراي لامرين احدهما قوة سلطان الشهوات عليهم والثاني ان التجارب

لم ترض قواهم على مخالفة هواهم وذو الحنكة بخلاف ذلك

وكان يقال الغضب والشهوة املك بنفس الانسان لانهما

قارنا ميلادها فاما العقل فموهبة طرات عليها بعد فاستفادها

وقل ما يحج ناصح من هاج غضبه او شهوته لان هيج الغضب والشهوة

تكشف ضياء العقل كما تكشفه الشمس قيل

واستصحب سابور وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء

وحزم وسداد رأي وحنكة وبصر بالدبابات واللغات وتبحر في

العلوم وخبرة بالمكايد فسلم اليه جميع ما يظن ان به اليه حاجة

او تدعو اليه داعية وامره ان يتجافى عنه في قرب منه ومراعاة لجميع احواله

في نهاره وليله وتوجها معا قبل الروم فتظاهر ذلك الوزير بالرهبانية

والزهد وتكلم بلسان الجاثلقة وانتمى اليهم وتعرف بصناعة

الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراح

اندملت في الحال والتأمت قال صاحب الكتاب وقد

رايت جماعة ذكروا انهم قد رأوا هذا الدهن المذكور وامتحنوه

بان شرحوا اللحم ودهنوه بشيء منه فالتأم للوقت الا انهم اضافوه الى

الهند لا الى الصين قيل فكان ذلك الوزير في مسيره في بلاد

الروم يعاني الجراحات ويضيف اليها شيئا يسيرا من ذلك الدهن

فتندم لحسن عقه واذا اعتنى بذي وجاهة ورفعه داواه بذلك الدهر صرفا
فيبر امكانه ولا ياخذ على مداواته اجرا فانتشر له ود ووصفت بالعلم
والزهد ٥ قال صاحب الكتاب كان يقال من غرس العلم
اجتنى [illegible] النباهه ومن غرس الزهد
يقال نبه الرجل اي شرف واشتهر
اجتنى العزة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص
اجتنى الذل ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس
الوقار اجتنى المهابه ومن غرس الطمع اجتنى الكمد (اي الغم) ٥ وكان
يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها متفقه على مدح
اخلاق اربعة وهي العلم والزهد والاحسان والامانة ٥ قيل
فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان الوزير راعي احوال
سابور فلم يزل لاعيا ذلك حتى قدما القسطنطينية فقصد الوزير
البطرك وتفسير هذا الاسم ابو الاباء ولما دخل عليه اخبره
انه قصد اليه من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته واهدى

اليه هدية نفيسة فقبل هديته وقربه واختبره بالصحبة والامتحان

له فوجده لبيبا ممتنعا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتامل

اخلاق البطرك ويمتحن قواها لبصحبه بما يتفق عنده ويحسن

موقعه منه ∴ قال صاحب الكتاب كان يقال اذا اردت

صحبة رئيس فانظر ما يستميله وينفق عنده من الالات فان كنت

مطيقا للعمل بها في طلب اقباله عليك فاقدم عليه والا فرض

نفسك حتى تعلم انك قد اطقت ذلك واحكمته ولما تامل

الوزير اخلاق البطرك وجده مايلا الى الفكاهات معجبا

بالاخبار فجعل يتحفه من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة

فلم تطل المدة حتى حل بعينه وقلبه وصار الصق به من شعرات

قصه وجعل يعالج الجرح ولا يأخذ اخذا يحسن اثره وعظم قدره

وموقعه القلوب ∴ قال صاحب الكتاب كان يقال

اذا كانت القلوب مجبوله على مقة المحسنين وكانت المحبة

رثاً والاحرار يكرهون الاستئثار فان الحر على الحقيقة من فدى قلبه
من رق محبة المحسنين بمكافاتهم على احسانهم جهده فقبل
وجعل الوزير يتعهد امور سابور في كل وقت الى ان صنع
قيصر وليمة واحضرها الناس كافة على طبقاتهم وتهدد
المتخلفين عنها فهم سابور بحضورها فنهاه الوزير عن ذلك فخالفه
وتزيا بزي ظن انه ستر لامره وحضر مجلس قيصر متفقدا هيئته
وهمته وطريقه في قصره وما استاثر به من الذخائر وكان قيصر لما
بلغه ما ظهر على سابور من لطف الفطنة وعظم الهمة وشدة
الباس في حال صباه حذره حذرا شديدا فبعث الى حضرته
مصورا ماهرا فحكى صورة سابور حال جلوسه وركوبه وغير
ذلك من ضروب احوال شاهده عليها وقدم بتلك الصور على
قيصر فامر قيصر بتصويرها على فرشه وستوره وآلات ماكوله
ومشروبه فصنع ذلك على ما امر به ولما استقر سابور في مجلس

قيصر وطعم مع من حضر ذلك المجلس اتوا بابا الشراب في كؤوس
البلور والذهب والفضة والزجاج وكان في المجلس رجل من حكماء
الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة وفطنة ثاقبة فانكر سابور
حين شاهده واستلوح من صورته ونظره واشاراته مخايل الرياسة
فجعل يستشفه ولا يصرف بصره عنه واتى ذلك المنفرس
الرومي بكاس عليه صورة سابور فتامله فانطبع في
مثال لذلك الشخص الذي راه في المجلس وغلب على ظنه انه سابور
فامسك القدح امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه
الصورة لتخبرني خبرا عجيبا فقيل له ما الذي تخبرك قال
تخبرني هذه الصورة ان الذي هو مثال له في مجلسنا هذا
ونظر الى سابور ففطن لتغيره فحقق ما ظنه به واعاد القول
فبلغ ذلك قيصر فاحضره وساله فاخبره ان سابور معه في مجلسه
واشار اليه فامر قيصر بالقبض على سابور وادناه فساله عن نفسه

38

فتعللن بضروب من العلل فقال لهم ذلك المتفرس لا يقبلوا

قوله فهو سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ارعابا له فاعترف بانه سابور

قال صاحب الكتاب كان يقال قلوب الحكماء

تستشف الاسرار من لمحات الابصار وطالما دلت اوايل المبصرات

على اواخر المنتظرات ۞ وكان يقال جولان الابصار مرآة

تنطبع فيها الصور المشاهدات اذا سلمت من صدا الآفات

فكذلك القلوب مراى تنطبع فيها بعض الغايبات اذا

سلمت من صدا الشهوات ۞ قيل ان من الادلة على مكاشفة

الله القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشي يكرهه

او يحبه ثم يكون ذلك الشيء المتوقع على نحو ما توقع منه

وقد يرى الانسان الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه

او يبغضه لغير جناية جناها عليه ثم يكون منه الاحسان

او الجناية ۞ قيل فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس

مرآة

اى علم ما كان عليه في قلبه من الحب البغض

امره فقبض فحبس وحشد جنوده واعد عدته مجمعا غزو المغربين وتعفية
آثار ملكهم ثم انه امر فعملت صورة بقرة من جلود البقر عظيمة
وطورقت عليها الجلود سبع طبقات وصنع لها باب في اعلاها
وكوة في اسفلها وامر سابور فادخل فيها بعد ان جمعت يداه
الي عنقه بجامعة من ذهب ذات سلسلة ليمكنه معها
تناول ما يصلحه من طعام وغيره ووكل بتلك الصورة مائة
رجل من ذوي الباس والقوة يحفظونها ويتناوبونها بينهم وجعل
على كل خمسة رجال منهم رئيسا يضبط امرهم وصرف امر
جميعهم الي المطران وهو متولي البلد ولاية دينية
وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يدي الجيوش
ويصحبها المطران فاذا انزل الجنود انزلت تلك الصورة
في متوسطها وضربت حولها عشر قباب مستديرة بها
في كل قبة خمس من الحراس ورئيسهم واطاف بقيته الحرس

فيما بين قبته وقباب الحرس وضربت خارج ذلك كله قبة كبيرة
يصنع فيها الطعام للطران ولجميع خراسان نسابور ونسا فيقصد
مختلفاً ومجمعاً لخراب بلاد الفرس لعلمه ان لا دافع عنهم
قال صاحب الكتاب كان يقال الحزم التزام
مناجاة العدو ما دامت له ريح هابة ودولة مقبلة كما ان
العجز اضاعة الفرصة فيه اذا ركدت ريحه وادبرت
دولته وكان يقال للعاقل لا يكون في سلطان ملك
اجتمعت فيه خصلتان الا انهماك في اللذات واضاعة الفرص
يقال انهمك الرجل في الامر اي جدّ ولجّ
وكان يقال تميز الملوك عن السوقة انما هو بفضيلة الذات
لا بفضيلة الآلات وفضيلة ذات الملك بخمس خصال
رحمة تشمل رعيته ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم
وليانة يكيد بها الاعدا وحزامة يتيقن بها الفرص
فهذه فضيلة الذات واما فضيلة الادوات فوفور اموال له

وكثرة اجناده وحصانة معاقله وباتخاذه للمبانى الوثيقة العلية
والملابس الانيقة السرية والذخاير المنفيسة السنية والمطاعم
اللذيذة الشهية والمراكب الوطية البهية فهذه فضيلة تفضل
بها هذه الاشياء على ما هو دونها من اجناسها فيكون مال
اوفر من مال ومعقل احصن من معقل وجند اكثر من جند
ويكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب فضل
على غيره من الثياب وللذخيرة فضل على غيرها من الذخاير وللطعام
فضل على غيره من الاطعمة وللدابة فضل على غيرها من الدواب
فالفضيلة لهذه الاشيا لا لمالكها . قيل فلما سار
قيصر بجنوده ومعه سابور على الهيئة المذكورة قال
زنويا بور للبطرك ما معناه ايها الاب المعظم ان مما
اقتبسته منك الرغبة في صالح العمل وانه لا عمل افضل من تنفيس
كربة عن مجهود وجر نفع الى مضطهد وقد علمت ايها الاب

استثقالا لي بمعاناة الجرحى وان نفسي لتنازعني الى صحبة الملك
قيصر في سفره هذا فعسى الله ان يستنقذ بي نفسا صالحة بين حتم
من اجلها علي ويقدس قلبي بخدمتها ويحفظني بها فكره ذلك
البطرك كراهية شديدة ضنا به وحرصا عليه فلم يزل يتضرع اليه
ويتملقه ويتقرب له العود الى ان سمح له بالسفر وزوده وكتب
معه كتابا الى المطران يخبره فيه انه بعث اليه منه سويداء
قلبه وسواد بصره فليحله من نفسه باعلى المراتب ويستضيء برايه فيما
اشكل عليه فقدم ورد سابور على المطران فعرف له حقه
وانزله معه في قبته وجعل زمام امره بيده ثم ان الوزير يتشفق عند المطران
بما يعجبه واستماله بالملاطفة والحلب وجعل كل ليلة يسامره
بالاسمار الممتعة رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيسليه
ويونسه بذلك ويدس في حديثه بالرموز والكنى ما يريد
ان يطلع عليه سابور من الامور فكان سابور يهتد لذلك

زاحمة عظيمة وكان الوزير قد اعد من المكايد ليتخلص سائر
انواع غاراتها واسس لها عند ما قدم على المطران . قال
صاحب الكتاب وكان يقال ان من ظن من الملوك ان لعلمه
فضيلة على علم وزيره فقد غلط فان اضاف الى هذا الغلط
مخالفة الوزير الناصح الخبير بعد حجة ظاهرة لم يفلح وذلك
لان الملوك ابدا يتفقهون في سياسة من ملكوا نصرتهم
امرهم لا غير فاما الوزراء فيتفقهون في سياسة من دونهم من الرعايا
وفي معاملة من فوقهم من الملوك فهم اشبه شيء بالجوارح
المتوسطة القوة والباس فانها تصيد ما هو اضعف
عنها وتصيدها ايضا جوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح كلها
بمكايد التوقي والاحتراس ومكايد التكسب
والافتراس . وكان يقال انما حض الملوك على المشاورة
للاستظهار على الاراء لا لتقليد الوزراء وتفسير ذلك

في معاملة الرعايا

إنّ الملك لا يلزمه العمل بما اشير به عليه اذا لم يظهر له سداد
لكنّه يستعرض رأى وزيره وهذا لأنّ الملك اعقل
وإن كان الوزير اعلم ❁ قال الرشيد رحمه الله للاصمعى
انت اعلم منا ونحن اعقل منك وليس بنقص العقل الجهل ولكن
بنقصه الحمق فقد يكون العاقل جاهلا بكثير من العلوم
قال سيد العقلاء محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم انتم اعلم بامور دنياكم وانا اعلم بامور دينكم وقد قال
الهدهد لسليمن عليه السلم احطت بما لم تحط به ❁ وكان
يقال لولا فضل عقل الملك على عقول العلماء لما تواضع
العالم اعظاما لعلمه وكم عالم افساه ملكه لحمقه الذى
دلّ عليه قبح فعله وقوله لا لجهله ❁ وكان يقال احسن
الوزراء حالا من اعدّ لكل امر يجوز وقوعه عدّة واسواهم
حالا من توكّل على لطف فطنته وقوة حيلته ودرية ممارسته

فترك الاعداد للنوازل ثقة بنفسه وانما هو كمن ترك تروين

القول وتزويقه توكلا على فصاحة لسانه وقوة بديهته وحدة

عارضته فيوشك ان يستولى عليه الخطر في بعض مقاماته ٥

قيل وكان مما اعده وزير سابور من مكايده انه امتنع من

مواكلة المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام الذي

زوده البطرك طعاما غيره فكان اذا احضر طعام

المطران اخرج هو من ذلك الزاد فاكل واطعم منه ولم يزل

فيض يسير في جنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل

والسبى وتغوير المياه وقطع الشجر وخراب القرى فساء

اثره على الارض واهلها وهو مع ذلك يواصل السير ليستولى على

دار ملك سابور ويبعث من بها من رؤساء القرى فنيل

ان تضطرهم مخافته الى ان يملكوا عليهم رجلا يجمع كلمتهم

ويذب عنهم ولم يكن للفرس همة الا الفرار والاعتصام

ويباعث

بالمعاقل وسار قيصر حتى بلغ جندي سابور وهي اذ ذاك دار الملك

واحاط بها جنوده ونصب عليها المنجنيق ولم يكن لمن بها من الفرس

قوة على اكثر من ضبط اسوار المدينة والقتال عليها وكل ذلك

قد عرفه سابور بما يفهمه من رموز احاديث وزين التي يسامر

بها المطران كل ليلة وكان سابور فيما ذكر عنه لم ينطق

بكلمة منذ سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم ان قيصر قد نقلت

وطاته على دار ملكه وثلم اسوارها بالمنجنيق واستضعف من بها

من حماتها عيل صبره وساء ظنه بوزينه وخامره الياس من النجاه

فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة التي في

عنقي قد اضرت بي اضرارا شديدا فقل للمولاك يقول لك سابور

لعلك ان تحسن الي فتوسعها علي او تحول بينها وبين عنقي بخرق

من الحرير فان ذلك يعينكم على سلامة نفسي ان كنتم تريدون

ذلك وجاء الموكل بطعام سابور الى المطران فاخبره

عقالو وسمعها وزير سابور فعلم انه قد عيل صبره وساء ظنه وقصد

بهذا القول اطلاعه وزيره على ذلك فلما جلس لمسامره المطربان

بالليل قال له رافعا صوته ليسمع سابور انه كان عندنا بحلب ثنية

فتى وفتاة في نهاية الحسن والظرف وكان اسم الفتى عين اهله

واسم الفتاة سبيه النار وهما زوجان متحابان فجلس عين اهله

يوما مع اخوانه فتذاكروا النساء فوصف احدهم امراة يعرفها

بحسن بارع وظرف رايع اسمها سبيدة الذهب وهي بقريه نارجه

ولها زوج يسمى الذيب فطمحت نفس عين اهله اليها طموحا شديدا

قال صاحب الكتاب كان يقال من شره وقع فيما كره

وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم

كالبيت لهما فاذا كان سلطان النفس مبسوطا اشتغلت

النفس بمصالح الجسم بجلبها وبمضاره تجنبها كما تشتغل المراة

التي قهرها بعلها بمصالح بيتها وبعلها فصلحت الجملة وان كان

السلطان للنفس على العقل كان سعي النفس فاسدا وبرعانها مذمومة
كفعل المراة التي فجرت ببعلها :. قال وزير شابور
فانطلق عن اهله الى قرية سيدة الذهب ورآها فاعجب بها ولم
تكن احسن من امراته ولكن النفوس نعيمها التنقل في الاحوال
اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم الكون ثم تنتقل بالتفرق الى
عالم الفساد ومن افتتح امره بالنقلة واختتم امره بالنقلة فاليق
الاحوال بمتوسط امره النقلة :. قال وطالبته نفسه
بالاستكثار من النظر اليها فاكثر التردد الى منزلها حتى فطن له
بعلها وكان غليظ الطبع شديد البطش فوثب عليه فقتل
فرسه ومزق ثيابه واستعان باصحابه فادخلوه بيتا من داره وربطوه
الى سارية ووكل الذنب بحراسته عجوزا عوراء جدعاء الانف
قطعاء اليد شبيهة تصطلي فتذكر عن اهله ما كان فيه من
الرفاهية والدعة والانس فبكى فقالت له العجوز ما ذنبك الذي

الطمانينة

اوردك واردّ الذلة والشدّة والمخافة قال ما علمت ايتها

العجوز لي ذنبا فقالت اكثر اهل البلوى ينحلون هذه الدعوى

ولو انهم انصفوا لعرفوا واعترفوا ان ما حلّ بهم من المساءة عقوبات

على الاساءة ولكن اخبرني عن نفسك فلما اخبرها بخبره نبهته

على جرمه وتبينت له ما خفي عليه من شرهه وظلمه وآنسته بحديثها

ثم قالت له عليك بالتناسي وتذكر ما عرونه من الشدايد

النازلة بغيرك ولا تذهل عن شكر النعمة العظمى في سلامة

نفسك واشعر قلبك قرب الفرج وتيسير المخرج واحذر

الياس من كشف البلاء فانه اشد من البلاء فقال لها هل لك

في اطلاقي من وثاقي لتتخذني بذلك عندي يدا فاكون لك ما بقيت

عبدا وولدا فقالت انك لمحجوب بحداثة سنك وقلة تجربتك

عن كثير من حقايق الامور وذلك هو الذي اوردك هذا

المورد ثم صمتت عنه فندم على قوله فلما اصبح اتاه الذيب فعاقبه ونال

ونال منه ثم خرج عنه فقضى نهاره بالاماني فلما دجا الليل خرج فبكى
وجات العجوز واصطلت كعادتها وامرته بتذكر مصاب الناس
والتاسي بهم فقال لها هان على الطليق ما لقي الاسير فضمنت
عنه فلما اصبح عاود الذئب عقوبته وتهديده وخرج عنه فلما قضى
نهاره بالاماني جاء الليل فلم توقد العجوز نارا وجعلت تخرج من
البيت ثم تعود اليه والقلق عليها بادٍ فساء ظنه واشتد
التعلق الانزعاج
بكاؤه فقالت له يا فتى اما كان فيما تشاهد من سوء حالي
ما منعك من قولك هان على الطليق ما لقي الاسير فاستمع احدثك
موصول
انه كان لي في شبيبتي بعل محسن الي وولدت له اولادا فجنى
جنايه فقتله السلطان وباعني واولادي متفرقين فتنقلت
في الملك دهرا ثم صرت الى صاحب هذه الدار فكلفني ما لا
اطيق ففررت منه فادركني فقطع يدي ثم عاودت الفرار
فادركني فجدع انفي واقسم لين عاودت الفرار ليقطعن رجلي وقد

اشتدت رحمتي لك فعزمت على ان اخلصك الليله واقتل

نفسي لاستريح مما انا فيه ثم حلته واراديت قتل نفسها فمنعها

وطالبها بالمصير معه الى فرسه فقالت ان الكبر ليعجزني عن

ذلك فقال ان عجزت حملتك وخرج بها حتى انتهى الى فرسه فاتخذها

والله مبرورة مشكوره فقال المطران ما اعجب احاديثك

ايها الحكيم ولقد استعذبت السفر لمتعتي بانسك وبات

سابور بنفكر في حديث وزيره ففهم انه كنى عنه بعين اهله

لانه ملك فارس وعينهم التي ينظرون بها وكنى عن مملكته

بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار وكنى عن ملك الروم

بالذئب لقسوته عليه وبطشه واسره له وكنى عن بلاد ملك

الروم بسيدة الذهب لكثرة خراجها فكنى عن طموح نفسه

الى مشاهده بلاد الروم بطموح عين اهله الى مشاهده سيدة

يقال رجل طامح اى شره

الذهب وكنى الوزير عن نفسه وذله للمطران وسوء حاله

لما نزل بسابور بالعجوز الجدعاء القطعاء السيئة الحال وانه عرفه انه تخاصه في الليلة الثالثة ويحمله ان عجز عن المشي حتى يوصله الى المدينة فطمع سابور في قرب الفرج وعاوده الثقة بوزيره قال صاحب الكتاب كل ما قدمته من الاحاديث المنسوبة الى الوليد بن يزيد وسميره والى المامون ومشيره والى سابور ووزيره فليس لي فيه صنع سوى تغيير اللفظ وتحبيره وقد آن ان من هذا الحديث البيان عن كيفية عود سابور الى ملكه وما عامل به قبيص من اسره وفكه لاختم به هذه السلوانة بعد ان اقدم امثالا فايقة رايقة ارصعها بالكلمات المحكمات اللاتي هن كل المراد المطلوب بالمثل المضروب فاقول لو ان تلك العجوز التي اخبر عنها وزير سابور تحسن تصنيف الاقوال وتصريف الامثال لامكن ان يجيب عن اهلها اذ زعم انه لا ذنب له بان تقول هكذا قال الراعف للارفط فلم

الترصيع التركيب

يُصَدِّقه حتّى اذا علم شانه تبين له احتجاب نظره وفطنته عن بطن
بطنته فاذا كنت يا فتى لا تنكره ان تُبَصَّر بعيوبك وتذكّر بذنوبك
سألتك عن خطيئتك ثمّ انبأتك بدايك وبطنك ❀ وكان يقول
قبيحٌ باللبيب ان يعجبه مدح المادحين ويغضبه قدح القادحين
قبل ان يتفقّد اعماله فيعلم ما عليه وما له ومتى اطّرح هذا
الادب خسر خسرانًا مبينًا وفضل عليه الناقصات عقلًا ودينًا
لانّ المراة اذا وُصف وجهها بما تحبّ او بما تكرهه امتحنت
ذلك بالاطّلاع في المرآة ❀ وكان يقال في مثل سائر امر
مبكيّاتك لا امر مضحكاتك وحديثه ان جاريةً عزيزةً كانت
اذا زارت خالاتها اظهرن لها الاعجاب بخلقها واخلاقها فسررنها
واذا زارت عمّاتها نبّهتها على معايبها وحضضنها على الادب الذي يعلي
الشيم ويغلي القيم فقالت لامها اذا زرت خالاتي اضحكنني
واذا زرت عمّاتي ابكينني فقالت لها امّها امر مبكياتك لا

من ضحكاتك اى عليك من مبكياتك فالرميه ٭ ويمكن ان يسأل
عن اهله تلك العجوز عن حيث الراعف والارقط فيمكن ان
ان يقول لو ان فرسا يسمى الراعف لسبقه كان لفارس يحسن القيام
عليه ويعده لمهماته فخرج به ذات غداة قبلى مرج فشكله بشكال
من جلد لم يدبغ وازال سرجه ولجامه فمرغ ورعى ثم اعادهما
عليه وازال احد طرفى شكاله بامواه خاضها ففر الراعف
اى اللجام والسرج
~~والارقط فيمكن ان يقول لو ان فرسا يسمى~~ وجمح ولم يثنه
شىء حتى بلغ الصحراء وقد ابتل شكاله بامواه خاضها ويبس فاشتد
على رسغه واضر به واما فارسه فطلبه حتى يئس منه ومنع الراعف
اللجام من الرعى وعدم الماء واضر بيده الشكال وطال الامر به
حتى اشفى على الهلكة فمر بفرس يسمى الارقط فعاف افتراسه
ورحمه لسوء حاله فلو شاء الله عز وجل ان يهب لهما فطنة
وان يلهم الارقط حكمة كما فعل بالهدهد والنملة

وكلب اصحاب الكهف لم يكن ذلك من آيات الله عجبا
ولا امكن ان يسيل الارقط الراعف عن جرمه الذى عوقب
بتلك العقوبة لاجله ويزعم ان لا ذنب له ويرغب الى الارقط
فى اتمام النعمة فى استبقا نفسه واتخاذه عبدا وولياً بقطع
اللجاج والشكال عنه ويمكن ان يقول له الارقط انك
لكاذب فى زعمك او جاهل بجرمك فان كنت كاذبا فما احب
ان اصطنع عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ❁ وكان
يقال الصدق شاهد على كرم الابوة وكمال المروة اختصاص
الفضلاء بالصحبة واختيار العقلاء للمنة ❁ وكان يقال
احذر الدنو من ذوى الدناءة لئلا تعديك طباعهم اللئيمة واخلاقهم
الذميمة ❁ وكان يقال من تخلق بالكذب علم نبوة ومهانته وعدم
حياؤه وامانته فان عاقد لم يوثق بعقده وان واعد لم يسكن الى
وعده وان آخا كان اخاه ممذوقا وان خاصم كان بالفجور خليقا وان ظلم

سئ عنه اليه التهمة وان الم نفاعسئ عنه الرحمة ثم يقول الارقط
ان كنت جاهلا بجرمك فجهلك به اعظم منه ومن جهل اسائه اصر
عليها ❁ وكان نقال اجتنب الجاهل فانه يجني على نفسه وهي
احب النفوس اليه ❁ وكان نقال لا فرق بين الكاذب
والجاهل في العدول عن الحق الى الباطل الا من حيث ان الكاذب
يعلم قبح ما اتاه والجاهل يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا وهو
شر منه ويمكن ان يقول الارقط للراعف اذكر لي امرك
فاذا ذكره امكن ان يقول له اراك جاهلا بذنوبك فاعلم
انك قطعت بفارسك الذي اعدك لمهماته في طلبك وكفرت
احسانه اليك واضررت به في طلبك وغصبته السرج واللجام
وحلت بينه وبين نفسك التي هي ملك له واسات الينا في تعاطيك
من اللحاق بالوحش ما لا نطيقه وشر من ذلك كله اصرارك
على ذنبك اذ كان يمكنك العود الى سيدك قبل

ان تضعف عنه ويمكن ان يقول له الزاعف اما اذ كشفت لي ما كنت

محجوبا عن قبحه بجهلي فلا انطلق لنفسي الخاطيه وثاقا ولا انفس عنها خناقا

ويمكن ان يقول الارقط اما بعد ان وقفت نفسك عند

قدرها واستعملت الحكمة التي وعيتها فقد تاهلت لتامين

المخوف واصطناع المعروف ثم انه لم يسوغه اربه ويبلغه مطلبه

ويمكن ان يقول له ايضا اسمع مثل الغمر الذي يصحب النعم بما

يعرضها لسلبها ويجعلها ذريعة الى مساخط ربها لو ان لرجل جحشا

ضبيبا لا مهر ولا فاحسن القيام عليه حتى كبر وسماه يعفورا

وكان في كل يوم يذهب به الى حديقة له قد احدق بها سورا

وفجر الانهار خلالها تفجيرا فهي ذات اشجار مثمرة ورياحين

منورة واكلاء زاوية وخضرة فيتخذ له طيلا لا بي وند في بهجة

تلك الاكلاء وعلى مشرعة من ذلك الماء ويطل الرجل

في حديقته لما يعنيه من امرها مراعيا لليعفور فيوما من الايام خرج

من الحديقة لبعض شانه فلما انس اليعفور الحلوم خالية الجو فنازع
الوتد فاقتلع وجاذب الطول فقطعه ثم اتى الاشجار فجعل يحكك
بها فكم هنالك من ساق كسير وغصن هصيب وثمر نثير ثم
الرياحين فاتخذها متمعكا متمرغا ولم يبق فيها لناظر ولا لناشق مبتغى
وكان يقال الحمقى والجهلاء اولوا مفسدة لكن من سبيل متحدة
فالجاهل يفسد لعدم تهديه للاصلاح مع رغبته في الصلاح والاحمق
يفسد لانه يتلذذ بالاذى والافساد وتيام يجري الامور على الاستقامة
والسداد مقتضى اختلال مبناه وقباحة معناه ثم ان اليعفور مر
يعدو وجوحا مرحا فاعترضه ساق شجرة منكسرة فوثب ليتخطوه
ويجاوزه فقصر به وثبته فبعج العود بطنه ويدلق حشوته وهنالك
غراب يقال له النعاب فنزل امامه مسرورا بمصرعه ومؤملا
ان يظفر منه بشبعة ۞ وكان يقال ثلثة ترفع عنهم الرحمة
وتنزل بهم الشماتة في ثلثة احوال احدهم المبذر لماله حين نزل به الفاقة

والثاني الشره النهم حين تصيبه الهيضة والثالث الظالم
المتعدي حين تنزل به الفاقة والعقوبة ❀ وكان يقال
النعم محتاجة الى الاكفاء احتياج العقايل من النساء فاذا
صادفت النعمة كفوها حسنت وحسن بها واهل الاشر
والبطر ليسوا من اكفاء النعم كما لا يكافي الاراذل
عقايل الحرم فلو اراد الله سبحانه فاعطى اليعفور والثعاب افهاما
كما اعطاهما الهاما وابدلهما من التنهيق والشحح كلاما
لم يكن من آياته عجبا ولامكن ان يقول الثعاب لليعفور كيف
وجدت عاقبة البطنة والاشر وكفران النعم التي يجب ان تشكر
فيقول اليعفور متى كان ذلك مني فيقول الثعاب نحو فصل الجهل
داء عياء والجاهل ميت الاحياء ❀ وكان يقال اجعل رحمتك
للجاهل من جهله شكرا لمن آثرك بزينة العلم عليه وعامل
المتجاهل بقسوتك لانه كشف نور علمه وآثر الاتصاف بالرذيلة

الفضيلة وكان يقال تعامى المذنب عن ذنبه الذى سلف
ذنب آخر مؤتنف ثم يقول الثعاب لليعفور كالك لم تعرف
بعد العجف اذ بجوس غباضه وندوس رياضه ونشتر ثماره ونفسد
رياحنه ونواره ويمكن ان يقول اليعفور سيدى ادخلنى
بستانه واباحنى ما فيه فيقول الثعاب كلا وكان يقال
اذا عطلت الروية بطلت الفضيلة وكان يقال انما توجد
الفضيلة الرضية عند من رسخ فى علم التجربه وفقه فى معارف السياسة
وايد باستنان البصيرة وخلص من شوائب الهوى وكان يقال
صقال النفس الناطقة مواظبة الفكرة الصادقة ومن
لا فكرة له فيما خلق لاجله مسلوب معنى الانسانيه وحقيقه
الروحانية ثم يقول الثعاب لليعفور ان سيدك ادخلك
بستان نعمه على حكمه لا على حكمك كما وقع فى وهمك
الا ترى انه جعل لك طولا وونيا بضبطانك عن التعدى ضبط

الاحكام واعناك بالاب عن التمر اغاء البشر بالحلال عن الحرام

منحكما فى اطايبه تحكم الوراث فى ذخاير التراث ثم اذا اعترض

سيد اليعفور سوابق ومغبة بطنه قال له بعدت من عاد لثود

بعد عاد وثمود ﴿ قال صاحب الكتاب عفا الله عنه

ويمكن ان يقول العجوز لعين اهله ان سمعت ما اسمعتك اسندتك

به على فج مكسبك واستقللتك ما نزل من العقوبة بك فلعلك

ان تذكر ان جماعة ممن عرفت قد هلكوا بمثل ما اقترفت فتدع

نفسك عن هواك ويكون لك اسوة فيمن سواك ﴿ قال

ويمكن ان يقول العجوز لعين اهله فى الليلة الثانية حين اساطته

بها فقال هان على الطليق ما لقى الاسير ان عدم تهديك لسديد

الاراء اوقعك فى تهمة البراء كالذى صنع الغزال بالظبى

ويمكن ان يسليها عن ذلك وان يقول لو ان رجلا كان له ابن يكرم

عليه فاتحفه بعض معارفه بغزال شدح عنه عندما ولد فشغف

به ابنهُ فارتبط له شاه ذات لبن وحلاوة على تفيسٍ ولبث الى ان اشتدّ

وشدن وهو لا يعرف الّا الانس بالانس ونجم قرنه فتعجب الغلام له وسال

عنه فقيل له انهُ سيكبر ويكون من صفته كذا وكذا

فجعل يستنبطى ذلك ويرتاح الى تعجيله فامر ابوهُ فانى نظّني

ثنى السن فذا استكمل نموهُ فاعجب الغلام به فرقوا به اهلهُ وآنسوهُ

بالغزال فانس فجلّوهُ وحلّوهُ فلو ان الله سبحانه الهمهما فطنة

ومعرفة كما الهم الذئب الذّى كلم رافع بن عميرة الطائى فدعاهُ

الى اللّحاق برسول الله صلى الله عليه وسلّم والايمان به فاطاع دعوته

وقبل نصيحته لم يكن ذلك من اياته عجبًا ولامكن ان يقول

الغزال للظّبى ما ظننت قبل ان ارى ان لى شكلًا فيقول

الظّبى له انّ اشكالك لا يحصى كثرةً ويخبره عن توحّش

الظّباء وانحيازها الى الجبال والغياض والفلوات وعن مراعيها

وموارِدها وتناسلها فيرتاح الغزال الى ذلك ويتمنى رؤيته والكون

فيه فيقول له الظبي لا خير لك في هذه الامنية وانت اليوم
في رفاهية وامن لم تالف غيرها ولعلك لو فارقتها لندمت ٭
وكان يقال ثلثة من لم يسن لها منزلتها استدعى مفارقته الملوك
والعلما والنعم ٭ وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخا
جماح فلا يصلح للعاقل ان يبيح نفسه من الاماني الا مقدار ما يونس
الوحشة وينفس الكربة فان استيلا الاماني على النفوس كامر
السفل الذين يجعلون الرووس اذنابا والاذناب رووسا ويسعون
في عكس صورة الصواب ٭ فيقول الغزال لا بد لي من اللحاق
باشكالي فيفند رايه في ذلك وعكرز يقول له ارايت
هذا الجل وهذا الحلي اللذين انت بهما مسرور ربما كانا اعوف
الاشيا لك عن نجاتك واشدها استدعا لكيد عداك
وكان يقال في مثل سائر عند قطيك وحديثه ان عجوزا من الاعراب
غرت شابا فتي وجها فلما زفت اليه ندم وعاملته بما يعجبها وفطنته

محبا لها فطالبته بان يشتري لها قرطين فمطلها فتحينت غيبته
واخذت شاتين من غنمه فاشترت بهما قرطين ولبستهما وهو
غائب وبصر بها عبد مارد لبعض اهل الحي فبيتها ليلا فقلع اذنيها
مع القرطين وبصرت به حين فرغ فقتلته وقدم زوجها فاخبرته وقالت
له لا تطلب ثاري فقال ثارك عند قرطيك فسبب الجناية انهما
كانهما حملا السارق على ما فعل وكان يقال قل ما توفر رجل
على الزينة والشارة الا انها فيه غرارة ن وكان يقال
ان من احس بالرذيلة من نفسه التمس الفضيلة في لبسه ومن
فطن لنقيصة ذاته كملها بتحسين ادواته ولهذا يزين الاعمى
عصاه ويحلي الامة الفرعاء زندبها واصابعها ؛ وكان يقال
البزة السنية وان كانت تستمل ابصار الطغام الى صاحبها
فان لها مضار جلايا وخفايا ومن خفايا مضارها ان صاحبها
ان اساء عد قليل اساءته كثيرا وصغيرها كبيرا وان احسن فقليل

احسانه لا يشكر وكثيره لا يستندر ولهذا جنب حذاق
المتكلمين في العلوم والعظات حسن الشارة في المقامات
المشهورة والمشاهد المحضورة ⁂ وكان يقال من حدث له النسك
فافتتح نفسه بلبس خشن الملبوس فليس له وصول ۞ ومن حدث
له الغنى فافتتحه بلبس نفيس الملبوس فليس له حصول ⁂ واذا راى
الظبي اذ الغزال غير منتبه عما طمحت نفسه نفسه اليه
خاف عليه ان ينقطع به قبل ادراك طلبته لكونه غزالا لا
يعرف التحرز من مكايد الانس مع كونه لا يهتدي الى ما
اراد سبيلا ولا يجد عليه دليلا فلا يجد بدا من الكون معه
ليقضي حق حرمة الفتنة ويواسيه في اثقال كلفته ۞ وكان يقال
لكل واحد من المترافقين في السفر ثلثة حقوق ان خاف
على نفس او مال كلاه فصانه وان احتاج الى عون بالبدن اعانه
وان افتقر الى زاد مانه فان صاحب في الحضر وجبت له مع هذه الحقوق

ثلثة اخرى مسامحة بصغائر ذنوبه ومناصحته فى ظاهر عيوبه وتفخيمه

فى مشهده ومغيبه فان ترقى عن ذلك الى المصادقة اندرجت

هذه الستة فى ثلثة قبول الاعذار والمكاشفة بالاسرار

والمعاونة بالبدن والمال على جلب المسار ودفع المضار

فان ترقى عن ذلك الى الاخوة اندرجت هذه الثلثة فى ثلثة وهى

اباحة المال بلا استيمار ومحو الذنوب بلا اعتذار وحصول

الانس الذى لا تتخلله نفار فان ترقى عن ذلك الى الخلة حصل

الاتحاد فى المعنى وفى ذلك اقول

لامنى العاذلون فى وظنوا ان خلى شئ سواى فناهوا

قلت قد ضل سعيكم يا حيارى انا خلى خلى انا بل انا هو

ثم ان الظبى تخرو قتا يمكنهما الهرب فيه ثم تخرجان جميعا حتى يلحقا

بالصحراء فاذا اصحر الغزال مرح واستن وذهب يعدو راكبا

راسه فيسقط فى اخدود ضيق قد قطعه السيل فينشب فيه

ولا يستطيع الخروج منه وينتظران يأتيه الظبي فيخلصه فلا

يأتيه فلبث فيه يومه واما ولد التاجر فانه اذا عدم غزاله وظبيه

جزع وسلب القرار واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من يعانى

صيد الوحش بذلك البلد فعرفهم القصة وكلفهم طلب

الظبي والغزال ووعد من يجدهما او واحدا منهما وعدا

مرغوبا فيه فانبثوا فى سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر

دابته ويفرق اتباعه على ابواب المدينه وينتظرون من ياتى من

الصيادين وينطلق هو ومعه عبدان له حتى ياتى الصحراء فيرى رجلا

على بعد منكبا على شىء بين يديه فيسرع نحوه فاذا هو صياد

قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه فيتامل التاجر الظبي فاذا هو ظبيه

فيخلصه من يده ويامر عبيده فيفتشانه فيجدان معه الحلى الذى

كان على الظبي فيسأله عن قصته فيقول انى نصبت البارحة فى

الصحراء اتصيد ونصبت شركا ولمست قرنا فلما اصبحت جاء

الظبي ومعه غزال فذهب الغزال يعدو في غير الطريق حذرا
من الشرك فغاب عن بصري وجاء هذا الظبي يمشي حتى حصل في الشرك
فاخذته وقصدت به المدينه فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي ان مخطي
في ادخال الظبي المدينه لعلمي انه لبعض الملوك وانه اذا راى
معي طولبت بما كان عليه من الزينه فرايت ان اذبحه فادخل به لحما
فهذا خبري ؛ فيقول التاجر لقد جنا عليك شحك الخيبة
فماذا عليك لو اطلقت الظبي فذهب وحصلت انت على زينته
ولقد صدق الحكيم في قوله لا يدخل الشره مدخلا الا اعقبته
الحسرة ولا يدخل الطمع مدخلا الا اعقبته المذلة ؛ ثم
ان التاجر يصرف الظبي مع احد عبيده الى ولده ويقول
للصياد ارجع فارني الجهة التي توجه اليها الغزال لاحسن اليك
فيرجعان جميعا الى تلك الجهة ويذهب الصياد ينفر الارض
ويشرف على المواضع المشرفة ويمشي التاجر على رسله فيسمع نزيب

الغزال اى صوته فيصيح به الناجر فاذا سمع الغزال صوته عرفه
فاكثر النزيب والناجر يتبع الصوت حتى يقوم على الغزال
وهو فى ذلك الاخدود منتشب فياخذه ويدعو الصياد فيهب
له ما ارضاه ثم ينقلب الغزال الى منزله فتعاوده لذة المسرة
ويعامل الغزال الظبى انك خذلتنى واسلمتنى احوج ما كنت
الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فيقول الظبى كلا ولكن
انت محمول بالغرة والبله على تقحمه من لا ذنب له ثم هلا
قلت اشرك الطموح ويطرك الجموح واما انا فلو سالمنى
الشرك لفلّتك فى الدّرك ؞ وبعد فهنا حين نكمله
الماثور من حديث سابور قيل ان وزير سابور دخل المطبخ
الذى يصنع فيه الطعام للمطران واصحابه وجميع الموكلين
بسابور بن خاصم وعامتهم فالقى فى جميع الاطعمة مرقدا
قويّ الفعل ولما حضر طعام المطران واصحابه انفرد وزير

وزير سابور بأكل زاده لعادته التي ربتها فقتل ما البشواحي ـ م اصدهم صح

استولى المرقد على جميعهم فانجدلوا في اصدهم وعلى فرشهم وحيث

ما كانوا فافتح باب الصورة عن سابور واستخرجه منها وازال

جامعتيه على حال طمانينة وامنة واخذ من السلاح واللباس

ما يعينهما على امرهما وينقلا من جهة الى جهة حتى خرجا

من العسكر وتوجها نحو المدينة حتى انتهيا الى سورها

فصاح بهم الحراس فتقدم اليهم الوزير وزجرهم عن رفع الاصوات

واشار الى بعضهم سلامة الملك وارسله الى زعماء الفرس

بما يريد فاقبلوا وكشفوا ما ارسل به اليهم فعلموا صحته وامروا

بفتح باب المدينة فدخل سابور واجتمعوا اليه فبذل

الرغايب للمقاتلة وامرهم باخذ الاهبة واعداد العدة

والخروج من المدينة اول ما تضرب الروم نوافيسهم من آخر

الليل ففعلوا ثم خرج في حماته وخواصه وزنهم وحضهم

ودبّرهم واوصى امراءهم بالاقتراب من عسكر الروم والقيام
على ترتيب وتاهب حتى اذا قرعت النواقيس الكرّة الثانية
حملوا على الروم فصدموهم صدمة من غير تثبت ولا تلبث
وانتخب هو جمعا عظيما فيه انجاد الفرس وعظماء الاساورة
فقام معهم واعلمهم انه يقصد بهم اخبية قيصر ونهى من ظفر منهم
بقيصر عن قتله والروم غير متاهبين ولا حذرين لانهم على يقين
من ضعف اعدائهم عن مقاومتهم على سور مدينتهم وانهم قد سدّوا
ابواب مدينتهم بالصخر خوفا من ان تهجم الروم عليهم فما شعروا حتى
دهمهم سابور بجنوده فتحكموا في نفوسهم كيف شاءوا
واوطئوهم اشد وطأة واسر سابور قيصر واكثر خاصّته
واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا افرادا وامتلأت ايدي
الفرس من الغنائم والاسرى وعاد سابور الى ملكه فقسم
الغنائم وافاض الصلات على اهل مدينته واحسن الى حفظة

ملكه وشرّفهم وفوّض امره الى ذلك الوزير الذي استنقذه
ثمّ احضر قيصر ولاطفه وقال له انّي مستبقيك بما
ابقيت عليّ وغير مواخذ لك بتضييقك محبسي وآخذك باصلاح ما
افسدت من جميع ممالكي فتبني ما هدمت وتغرس مكان كلّ
نخلة قطعتها زيتونة وتطلق من في بلادك من اسرى الفرس
فضمن له قيصر ذلك كلّه ووفا له فيه ولمّا انتهت النوبة الى
ما انثلم من سور جندي سابور قال سابور لقيصر انّما نبنيه
من تراب ارضك فامر قيصر رعيّته بحمل التراب من بلادهم الى
جندي سابور فرقع به ما انثلم من سورها ولمّا تمّ لسابور ما اراد
من هذا كلّه احسن الى قيصر واطلقه وقال له
خذ اهبتك واعدّ عدّتك فانّي قاصد ارضك عن قريب ٥
قال صاحب الكتاب عفا الله عنه قد بلغت بهذه
السلوانة مداها فلناخذ فيما عدا

السلوانة الثالثة

وهي فيما يثمر للناسي من الصبر قال الله ربنا تقدس اسمه

مخاطبا صفيه المكين لديه ونبيه العزيز عليه فاصبر كما

صبر اولو العزم من الرسل واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن

عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وهذا حين تألب المبطلون

عليه وقصدوا بالمكر والمكروه اليه كما اخبر الله

عز وجل عنهم بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك

او يقتلوك او يخرجوك الاية وكان رؤوس قريش اجتمعوا

بدار الندوة ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وسلم فاشار

بعضهم بان تخرجوه اي ينفوه واختلفوا وكان ابليس قد حضر ناديهم

وانكروا حضوره فزعم انه رجل من اهل نجد وكان كلما اشار

رجل براي اظهر لهم ابليس خطا ذلك الراي الى ان قال ابو جهل

الراي ان نختار من كل قبيلة من قبايل قريش رجلا فاتكا ونعطي كل

56

رجل منهم سيفا ويأتون محمدا فيضربونه باسيافهم فيقتلونه
ويتفرق دمه في القبائل فلا يعطون ديته فقال ابليس الراى اراه
فصوبوا رايه وانصرفوا مجمعين على ذلك فاطلع الله نبيه على مكرهم
وامره بالهجرة وعصمه من كيدهم وجعل الدائرة عليهم وكان
مما انزل الله عليه في ذلك قوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
ولا مبدل لكلمات الله ۞ وقد علمنا ان من كلماته
سبحانه قوله ان الله مع الصابرين فهذا لا تبديل له ومن
كان الله معه فالعاقبة له ولهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم لعبد الله بن مسعود واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج
مع الكرب وان مع العسر يسرا ۞ وقال عليه السلم
العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق
والده والبر اخوه والصبر امير جنوده ۞ فناهيك بشرف خصلة

بناء على هذه الخصال وليس المراد تفضيل الصبر على العقل
والعلم وما ذكر معهما من الخصايص ولكن المراد بتفضيل الصبر
ان الثبات على هذه الخصايص انما يكون بالصبر لان معنى الصبر
الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشيء من هذه الخصال
ولم يتصف بالصبر عليه والملازمة له كان عند مزايلته لمن لم يتصف
به فالصبر لهذه الخصايص الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده
عن مزايلة مراكزها والاخلال بما نصبت له من دفاع وانتفاع

منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روي ان امير المومنين عليا رضوان الله عليه قال الصبر مطية
لا تكبو وقيل مما كتب في الصحيفة الاولى المعلقة في اعظم
هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكذلك
الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر ✽ واعلم رحمك الله ان ظل
الصبر ظليل ومضله ذليل وان الصبر درج يفضي من عرج الى الفرج

وان اقل فوايد الصبر على المكروه تنغيص لذة العدو والمتشفى الشامت والصبر على الحقيقة صبران صبر العامة وهو عمل اشباح وصبر الخاصة وهو عمل ارواح وقد حكم هذا المعنى حبيب بن اوس فقال

لباس سرد الصبر مدرع له فى الحادثات كادراع اللام

والصبر بالارواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالاجسام

اللام الدروع جمع لامة وهى الدرع ‹ وقال حبيب ايضا

واذا رايت اسى امرئ او صبره يوما فقد ابصرت صورة رايه

وقال نهشل بن حرى

ويوم كان المصطلين بحره وان لم يكن نار قيام على الجمر

صبرنا له حتى يبوخ وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

قوله تبوخ اى تخمد هما سواء ‹ وقال بعض المتاخرين

على قدر فضل المرء تاتى خطوبه ويعرف عند الصبر فيما ينوبه

قوله يبوخ اى تخمد وهما سواء

ومن قل فيما ينبغيه اصطبارا فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال آخر

من لزم الصبر على حاله كان على ايامه بالخيار

وقال عمرو ذو الكلب

ومقعد كربة قد كنت منه مكان الاصبعين من القبال

صبرت لها وكنت اخا حفاظ اذا احام اللئام عن النزال

فهذا والمنية من وراي ستطرقني بها احدى الليالي

قال صاحب الكتاب عفا الله عنه فهذا انموذج من

القول في الصبر على الجملة وهو يتنوع انواعا والنوع اللائق

بكتابي هذا منها هو صبر الملوك وهو عبارة عن ثلث قوى القوة

الاولى قوة الحلم وثمرتها عمارة المملكة والقوة الثانية

العدل والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات

وثمرتها في حماة المملكة من المقاتلة الاقدام في المعارك

وثمرتها العفو صح

وثمرتها عمارة المملكة صح

58

ولا يراد ذلك من الملوك بل هو منه تهور وطيش في الغالب
وانما المراد منه الثبات حتى يكون للمقاتلة قطبا يدورون
عليه ومعقلا يلجؤون اليه هذا ما دام يحضرته من يذب عنه ممن
يثق به ويرضى دفاعه ولقد ذكر الفرس ان فيلا اغتلم فدخل
قصر كسرى انوشروان والفيل اذا اغتلم انكر سياسته ولم
تثبت له شيء الا اتى عليه قالوا وان ذلك الفيل قصد بيتا
كان فيه انوشروان ومعه جماعة من حماة اصحابه ففروا وثبت
كسرى على سريره وثبت معه رجل كان واقفا بين يديه فقام ذلك
الرجل امام سرير الملك وبيده طبرزين وقصده الفيل فثبت
له حتى غشيه فضربه بالطبرزين على فنطيسته ضربة عظم شانها
منه فكر الفيل راجعا وكسرى في هذا كله ثابتا لم يتحلحل عن
مجلسه ولا تغيرت هيبته ولا فارقه ابهته فهذه غاية الشجاعة
المطلوبة من الملك فاذا لم يكن بحضرته من يثق بدفعه عنه حسن

جنيد ان يذب عن نفسه اما بالاقدام ان غلب على نفسه وظنه
الظفر او بالانهزام ان اباه مما لا قبل له به واشفق من عطب
رعيته بهلكته ⁂ ومن اقدام الملوك ما حكى ان موسى الهادى
كان يوما في بستان على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة
من اهل بيته او بطانته فدخل عليه حاجبه فاخبره عن رجل من الخوارج
كان ذا باس ونكاية انه قد ظفر به بعض القواد وانه بالباب
فامر الهادى بادخال الخارجى فادخل بين يديه بين الرجلين واخترط
سيف احدهما وقصد الهادى ففر كل من كان بحضرة الهادى
من اهله وبطانته وبقى وحده فثبت على حماره بمكانه ذلك
حتى دنا الخارجى منه وهم ان يعلوه بالسيف قال الهادى
اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجى ووثب الهادى عن سرجه
فاذا هو على الخارجى فقبض عليه وانتزع السيف من يده فذبحه به ثم
عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته يتسللون وقد

ملبوا منه رعبا وحياء فما خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يكن
بعد ذلك يفارقه سلاح ولا يركب الا جواداً من الخيل قال صاحب
الكتاب قد جلا عليك هذا الخبر ما ايد به موسى الهادى من
ثبات الجاش واصالة الراى وشدة الكيد وشجاعة القلب
ووفور العلم وقوة البدن فرحمة الله عليه

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل ما معناه واللفظ لصاحب الكتاب ذكرت لكسرى
انوشروان ارض من التخوم الهندية يقارب اقصى بلاده فوصفت
له بحسن المنظر وطيب الهواء والماء وكثرة الاثاث وزكاء
الاباء وكثرة العمائر وحصانة المعاقل ووصف له اهل
تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة الفهوم وشجاعة النفوس
وقوة الابدان والصبر على العمارة والملازمة للطاعة ولين المقادة
فتشوقت نفس كسرى الى تملك تلك الارض والتكثر باهلها

فوصفت له

وكان يقال الشره اعرق الخصايل في اللوم والحرص ابو الذى يولده والبغي ابنه الذى يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه

وكان يقال الشره شرة ينتجها طبع ويهيجها طمع قيل فلما طمحت نفس انوشروان الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر انه عظيم من الاراكنة وانه شاب منقاد لشهوته مقبل على لذته الا انه سالك صراط من العدل لا يجور وما للدين منهمل من البدن لا يغور الى رافة من عينته فقد اشربت قلوبهم وده وصرفت امالهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا كان من ثقات اصحابه قد اقتبس من اداب الملوك وتفقه في سياساتهم وكان ذا دهاء ونكر وحزام ومكر فامره بتامل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتفقد اخلاق ملكها واهلها وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه به الى الدخول في طاعته ويحذره التعرض لصولته بمخالفته فانطلق ذلك الاسوار

الرسول

حتى قدم على الاركن فاحسن نزله ونزه واكرمه ومنعه التصرف
وعمى عليه الاخبار وبالغ في قبضه وقبض الناس عنه ولم يستدع
كتابه ولا ساله عما قدم له وندب لاختبار حاله ومطلوبه رجلا
من دهاة اصحابه وامره بالتجسس على انبائه والتلطف في مخالطته
ومداخلته فانطلق ذلك الجاسوس واكترى حانوتا بحذى دار
الرسول وملاه بالعطار وجلس يبيعه وكان لذلك الرسول غلام
يخف في حوائجه فجعل الجاسوس كلما راى ذلك الغلام هش
له واكرمه واعرض عليه العون في ماربه الى ان انس الغلام
به فكان يجلس اليه ويستعينه ولبث بذلك مدة ثم قال
له يوما من تكون ومن لك في هذه الدار التي تدخلها فقال
له الغلام صحبتني منذ كذا وكذا وانت لا تعرف من انا
قال الجاسوس وما علي قال انا غلام رسول كسرى وسيدي
في هذه الدار قال الجاسوس من كسرى قال الغلام كسرى ملك

بابل قال الجاسوس قد عرفت حين ذكرت بابل لانى كنت فى صباى
اجير الرجل بالمثم امسك عنه ايامًا لا يسله عن شىء وكان يقال
التنقير وقيل التنقيب يربب الارنب وقيل من تسرع الى الامانة
فلا لوم على من اتهمه بالاذاعة ومن نصح قبل ان يستنصح فلا لوم على
من اتهمه بالخداع ومن عنى بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بخبث الطباع ثم قيل ثم ان الجاسوس قال للغلام يومًا اذا
خرج مولاك فارنيه قال الغلام ان مولاى لا يخرج قال
الجاسوس امريض هو قال الغلام لا ولكن ملكهم حظر
عليه الخروج فبكى الجاسوس فقال له الغلام ما الذى ابكاك
قال الرحمة لمولاك مما هو فيه لانى ابتليت بمثله وذلك انى حبست
مرة فى دين كان على فلولا ان الله منّ على برجل كان محبوسًا معى يسلينى
بحديثه وانسه لهلكت همًا فهل تحدث مولاك وتسليه قال
الغلام انى لا اعرف هذا قال الجاسوس اتريد ان ادلك على امر

لسيدك في راحة لك به عنده حظوة قال نعم قال طف
في المدينة واجلس الى المتحدثين فاذا خلوت بسيدك في ليلة فقل
له رايت كذا وسمعت كذا ففعل ذلك الغلام فسر به سيده
وقال له انى لك هذا قال اهتديت اليه قال له سيده
كلا ليس ذلك من قوى عقلك فاخبرني من دلك عليه قال
الغلام دلني عليه جار لنا بايع خمار ما رايت ابله منه ولا اجهل
منه قال له سيده ما الذي دلك على جهله وبلهه قال انه صحبني
اكثر من شهر ولا يدري من انا ولا من سيدي وذكرت له اسري
فلم يعرفه فلما سمع الرسول ذلك استراب به وحدس انه متجسس
عليه لما راى من فرط تجاهله وتباهه ؛ وكان يقال من فرط
فهو كمن فرط ومن احتفل في غلوه استثقل عن غلوه وكان
يقال ما دل على الاحوال كالاقوال منك ولا هتك قناع
المعقول كالمقول ؛ وكان يقال من لم تعرفك غائبا ادناه

لم تعرفك شاهدا عيناه ∴ قيل فلما سمع الرسول مقالة عبده

قال له اذا كان غدا فجئني بهذا الرجل لعلي استريح الى رؤيته

واستمتع من حديثه فلما اصبح بهذا الرجل الغلام غدا الى الجاسوس

فاعلمه برغبة مولاه الى لقائه فتمنع عن ذلك ثم اجاب اليه فلما

وقع بصر الرسول على الجاسوس حقق ما ظنه فقربه واكرمه

وتظاهر له بغباوة وفدامة لا مزيد عليها وساله ان يواصل

زيارته وامر غلامه ان يسكنه فيه امره كله واختصه

في ليله ونهاره فلبث بذلك برهة متراخية ولما ظن الجاسوس

انه قد حصل ما اراد علمه من امر الرسول ذهب الى الاركن فاخبره

ان ذلك الرسول غبي فدم لا غنا عنده غرانه ذو نجدة وفروسية

ونفس ابية فوثق الاركن بذلك وتمثل الرسول بالصورة التي

مثله بها الجاسوس عنده وكان يقال لا يكن سمعك لاول

مخبر ولا يفتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر بدخله

الصدق والكذب فالقضاء عليه باحدهما قبل الامتحان جور
وكان يقال انما يقضى بصدق الخبر عصمة المخبر لا صدقه وشرح
ذلك ان المخبر الصادق اذا لم يكن معصوما فهو عرضة للتلبيس
وفرصة للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من التحريف
فيما نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد ينظر
الصادق المغفل الى الشمس فيخبر بانها غير سايرة وينظر الى القمر
ودونه من مقطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سيره وينظر
الى البر من سفينة جارية فيزعم ان البر يجرى وينظر افعال
المشعوذين فيخبر بالاشياء على خلاف ما هى عليه ويسمع كلام
الببغاء المحجوبة عن بصره فيخبر عنه سابور حمار فلم يوت من اجل
التحريف لكن من اجل الادراك ـ قيل فلما سكن الاركان الى
خبر جاسوسه استدعى رسول كسرى مكرما فاحضره واخذ
منه كتابه واجمل خطابه واجزل حباه واباح له الركوب واذن

لقاصده في زيارته وتابع اتحافه وبره فلبث بذلك عاما ثم استجهزه واعطاه
جواب كتاب كسرى وسلم اليه هدية نفيسة منها سيف طوله
خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
عمل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق
تسع امنا من الطعام وكاس من الزمرد البحري يسع رطلا من الشراب
وقنديل من المها فيه ياقوتة حمرا كبيضة الحمامة اذا علق ليلا في
بيت فيه مصباح الفي شعاع الياقوتة على الالوان المقابلة للحمرة
فلا يشك الراي في حمرتها والف درة فريدة وطيب كثير ودروع
ودرق وغير ذلك واجزل صلة الرسول وصرفه الى مرسله
مكرما ولما قدم رسول كسرى عليه ساله عما ندبه ليعرفه
فاخبره بطيب تلك الارض وفضايل خصايصها وكرم مزاياها
وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة توتي منها الا غرارة سكانها
فان عقولهم منهتكة لقبول الخدع محجوبة عن النظر في العواقب

وان هذا هو موجب حسن طاعتهم لمن الفوا طاعته فلو ندب
اليهم رجال يحسنون نصب الدعوة لاستمالوهم وصرفوا عن ملكهم
طاعتهم ثم لم يبق لملكهم بعد ذلك قايمه لانهم اعضاده الذين
يصول بهم فهم في الرخا ثمار مجناه في الشدة سيوف منتضاه
فنظر كسرى في جواب الارکن فوجده قد خاطبه فيه بالاخوه
واعترف بفضيلته وتملقه ورغب اليه في المسالمة والموادعة
فاستشار انوشروان وزراه واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته
فاختلفوا عليه فاجمع رايه على رد الهديه ففعل ثم انه ندب
لاستفساد رعيته ذلك الارکن رجالا يحسبون نصب الدعوات
وقلب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم ونصب
لهم مثالا يحذون عليه فنفذوا لما امرهم به وتفرقوا في
تلك المملكه واعمل كل منهم قوته فيما انتدبوا له فاحكموا
امرهم في عامين وبثوا الدعوة في مدينة الارکن وغيرها من قراه

اي نشروا

ورساتيقه ومعاقله وثغوره وكتبوا بذلك الى كسرى فامر كسرى المرزبان
الذي يلي تلك الارض بالتجهز اليها وذلك ان ملك بابل كان مصروفا
الى اربعة مرازبة في جهات المملكة الاربعة مع كل مرزبان منهم
خمسون الف مقاتل فلما اخذ ذلك المرزبان في الاعداد والحشد
كتب الى الاركن الهندي عيونه بذلك فعلم انه قاصده ونجم النفاق
ببلاده وهمس الناس به فانتبه الاركن من غفلته وبحث عن
الامر فوقف على حقيقته ❁ وكان نقال الاكثر مايتوثب طلاب
انقلاب الدول على ملك صار الملك اليه بوراثة فتغذى باللذات
وركن الى الراحات ظنا منه ان الملك وصف ملازم له وان
سعي الجد من السلف يستحب على ايام دولته الخلف من غير سعي
مؤتنف ❁ وكان امر مملكته يدور على خمسة رجال
اربعة منهم هم جلساوه ووزراوه وسماره والخامس رئيس الزمازمة
الذين جمعهم الاركن واطلعهم على ما انتهى اليه من فساد رعيته

وتجهز انوشروان الى جهته وامرهم بالجلوس والنظر فى ذلك فجلسوا
لادارة الراى فقال احد الاربعه الوزرا ان الذى يصلح الملك
رعيته فيملا ايديها رغبات وقلوبها اما لا فان العدو اذا علم ذلك
كان حريا ان يجبن عن الاقدام وان اقدم لقيناه بقلوب مجتمعة وقلوب
سليمة فقال الرئيس الزمازمة هذا لو كان فساد الرعية اوجبه
هضم جور وعسف سيرة فيزال حكم الفساد بازالة علته واما
فسادها فى الاء فانما اورده عليهم الجهل بموافع الصواب والبطر
لترادف النعم وقد قيل اربعة اذا افسدهم البطر لم تردهم
التكرمة الا فسادا الولد والزوجه والخادم والرعية
وضربوا الذلك مثلا القوى الاربع المرذولة اذا هاجت لتعدى
حدود المصلحة وهى الغضب اذا انعدى حدا لشجاعة وحد
الانفة من الرذيل والشهوة اذا انعدت حد راحة العقل من
كد اكتساب الفضايل والحرص اذا انعدى حد الكفاية

يعنى اخذ على غير الطريق

الى التنعم فى الماكل وطلب الكسب

والتكسّل اذا تعدّى حدّ راحة الجسم من كدّ اكتساب المصالح
فان هذه القوى الاربع اذا تعدّت هذه الحدود ولم يردها المداراة
والرّفق الا هيجانًا وطغيانًا واغتيابًا بحسم موادّها ۞ قال
الملك صدق الحكيم فقال آخر من الراى ان يضرب عن صلح من الرعيّة
من فسد منها حتى تستوسق ثم تلقى عدوّنا بمن لا يخاف دغله فقال
رئيس الزمازمة هذا انفع لعدوّك من جيشه وادعا الى طاعته
من دعايه فقد علمنا ان رعيّتنا لا تخلو من عقايل محروم ولم يمنعه
من سلّ سيفه الا الخوف واذا فعل الملك ما اشرت به فقد
اباحه سلّ سيفه واذا سلّه لم يسلّه لنا بل علينا ويتبعه الجمهور
لما طبعوا عليه من حسد الملوك والتعصّب للضعفاء ثم في ذلك
اخراج السوقة واصحاب التجارة والصناعة عن طبقتهم الى طبقة
الجند وليس في قواهم ما في قوى الجند من بذل النفوس في تشييد
عزّ الملوك ولم يزل قدماء الملوك يلزمون كل طبقة بركـ

التعرض للشر فى عنها وقد قال الحكماء اربعة من استقبلها
بالعنف والردع فى اربعة احوال هلك بها الملك فى حال غضبه
والسيل فى حال صدمته وهجومه والفيل فى حال غلمته والرعية
فى حال هيجها ومرجها ؛ وقالوا اشبه شئ بردع العامة عن هيجها
معاناة الجدرى فى حال انبعاثه الى سطح الجسد بالاطلية الرادعة
فقال الملك صدق الحكيم ؛ قال وزير بالث الراى
ان نطلب اولا نعين من سددت طاعته بالثقات الاضامن
الحواسيس واذا تعينوا عوملوا بما يقتضيه احوالهم من قلة اوكثرة
وصنعة اونباهة فقال نبيس الزمازمة البحث الان عن هذا خطر
لانه لا ابد ان يفطن له واذا وفطن له خاف المريب فى حذر فاما ان يتحرك
الى جهة عدونا فيعتمده بالنصاح والدلالة على العورات ثم
نقابل معه على بصيرة ليست للعدو ولانه يطلب العود الى وطنه
واهله وماله واما ان لا ينفصل عنا ولا نرهبنا بل يكاشفنا

وينكثر علينا باشكاله من الرعية فينصره علينا وان لم يكن
على مثل رايه فى الرعية من احقده الحرمان ومن احقده التاديب
وجمهور السفله يبغضون الاجناد فانهم لن يعدموا منهم اذى
واستطالة وان سوموا افسدوا الملك وان قصد المسئ بعلة
المشاكلة له ولو عاداه كما ان الكلبين اذا تهارشا فرايا ذيبا
تركا تهارشهما واجتمعا على الذيب ولذ كان متخففا فى الخلق
الكلبى ولكن يعاديانه ويصطلحان عند التعاون عليه نظرا
الى خصيصتى بوحشته وانفته وحرانه وكذلك العامى لا
ينظر الى الملك من حيث تحققه فى الخلق الانسانى بل ينظر اليه
من حيث تفرده وانفته وعلوهمته وجرانه وشجاعته فينافره
ويالف العامى الذى يشاكله فى جهله وغير ذلك من اخلاقه
ولا تخلو الرعية غالبا من ناسك احمق يظن انه يغضب للدين فيحمله
حمقه وجهله على الخروج من واجب الطاعة فيكون امره فى الرعية

66

انفذ من امر الملك في الجند وقد قال الحكماء ثلثه من كاشفهم
بامتحان ما عندهم في ثلثه احوال كنت جديرا بان يحسدهم المودب
اذا امتحن ما عنده من العلم في حال تادبك واستقلاله لك
وصديقك اذا امتحنت ما عنده من البذل في حال فاقتك
واختلاله لك وامراتك اذا امتحنت ما عندها في حال تجاوزك
حد اكتنها لك وضربوا لذلك مثلا امتحان قوى معدة الناقهين
من الامراض بالاطعمة الغليظة وامتحان الرعية في هذه الحال
اشبه شيء بما ذكروا وقالوا ايضا ان للدولة امرانا
يخاف عليها ان تموت بها اخطرها اربعة ما يعرض للملك من
الكبر وما يعرض له من الغضب فان دولته في هاتين الحالين
يضطرب لخروجه عن حد السياسة والثالث ما يعرض له من
الحرص فانه اذا حرص عسف وظلم والرابع هيج الرعية فقال
الوزير الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا اني واصحابي كاصابع

كاشفهم

اذا امتحن ما عنده من البذل

الراحة في حاجة بعضها الى بعض وقوة بعضها ببعض وكل ما نستمده
من نور عقل الملك بنظره الينا استمداد الدراري من نور
الشمس واني ارى غير ما راه اصحابي لا متوقعا عليهم ولا عائبا
لارائهم لان القبول والرد الى الملك لا الى غيره فاذا اذن
الملك ذكرته فقال رئيس الزمازمة ما اولاه بالاصابة
فقال الوزراء الثلثة انه لكذلك فقال الملك
قل ايها الوزير الناصح فلك ولاصحابك عندنا الثقة بكم
والكرامة لانكم في المناصحة لنا والاداء الينا كالحواس
الخمس للقلب فسجد واله ثم رفع راسه فقال ما معناه ان الرعية
قليلة النظر في العواقب غير محفظة من المعاطب فقد
دب فيها سم الفساد ومكاشفتها خطر والظفر
بها وهن في الملك والعدو قوي الطمع شديد الحرص
مستشعر للظفر والنص ولا يرضيه الا الغلب ولا مندوحه

لنا عن محاربته ۞ قال صاحب الكتاب كان يقال اذا

حكم السلاح حكم بالفساد والصلاح والحرب ياخذ ويعطي

والمتعرض لها قد يصيب وقد يخطئ لكن السلامة في السلم

الذي لا يجني على الدين قصما ولا يجر الى الملك وصما فان امكن الوزير

ما معناه ان راى الملك ان يصرف او لا همته الى الاستظهار

باتخاذ معقل حصين يامن فيه على اهله وخاصته وذخائر

مملكته ومن خلصت نيته من رعيته فاني اعرف في مملكته

معقلا يطل على اهل الارض اطلال زحل على الكواكب يدفع

عمن حله الابصار اللامحة والافكار الطامحة وهو مع

ذلك لذيذ الهواء فرات الماء وقد كان بعض قدماء سلف

الملك اثر به آثارا محكمة ثم قطع عليه امله الدثور المحتوم

القاطع عقود الحياة واولى بالملك ان يتم به سعي سلفه ويودعه

ذخائره ويعد الاقامة به استظهارا ثم يلقى عدوه ان اقدم

على الاجرة فان ظهرت خيانة انصار احار فمن وفى بعهده وهدى
لرشده الى ذلك المعقل والزم نفسه الصبر وانتظر الفرج
فسر الملك برأى وزيره وعزم الاتمام به فى تدبيره ❁ قال
صاحب الكتاب انه قد حسن عندى ان اقدم على بقية هذا
الحديث المأثور مثلا ارغب فى نباهة معانيه بفكاهة
مبانيه فاقول لو ان نملتين ذكرا وانثى اسم الذكر منهما نميل
كانا من نمل قرية حسبيل مسلوكة لا يكاد نملها يخلو من كسيرة
وعقيرة بموطئ السابلة فحسن عند نميل وقرينته ان يتحولا عنها
الى ما هو خير منها فانطلقا يرتادان فانتهيا الى ارض فيحاء يكشف
واديا معشبا اذ ابنات عميم وجميم وخضر وهشيم فجنته
حرف وقون يقصر عنه الطرف فاعجبهما وسار نميل فيه ملتمسا
موضعا ينزل به فانتهى الى رابية عالية قد جاب السيل ما عن
يمينها وشمالها فاتخذا فى اصلها مسكنا وطابا نفسا عن الانس

بالانس ❀ وكان يقال من خلا عن قلبه رين الغفلة تبين ان العزلة
عزلة وكان يقال من شهد من سواه زهد فيمن سواه ومن عرف
الاله لم يألف الا الله ❀ وكان يقال انما اعتزل الشابور عن
الدنيا وعشاقها لان اشخاصهم في ابصارهم قذى والفاظهم في
اسماعهم اذى ومعاملتهم بالمداراة مذلة ووضيعة ومكاشفتهم
بالنصائح وحشة وقطيعة ❀ وكان يقال الاعراض عن الانس
بالجنس غنية عن النفس ولعل مميلا ان يتسنم تلك الرابية يوما
فيجد في علاها جحرا مفتحة فيرى ضبا منفردا متجردا لانفراده
عن الاليف وابتعاده عن الرديف وخلو بيته عن المرافق المنسرة
والمطعمة المدخرة فانه لا يدخر المطعم الا ثلثة اجناس النمل
والفار والناس ❀ فلو ان الله سبحانه يخلق لهما الافهام
ويبسر عليهما الكلام كما فعل بنمل سليمن وضب محمد عليهما
الصلوة والسلام لامكن ان يجيب ابو الحسيل بميل تبتله عن ارابه

ومثواه وعن ابنه ومثواه فيعلمه باخباره ويحرمه بجواره فيقول

الضيف لولا ان ناصح من يستنصحه فقد يكون مهينا لحكمته ومعينا

على نفسه لتضحك لك بالعبيل فيقول بمثل ما احوجني الى ضحك فيقول

ابو الحسين انه كان يقال لا تخطب امراة حتى تسال عنها وعن منصبها

وعن خلقها وادبها ولا تسلك سبيلا الا مع خبير بسهلها وحزنها

عليم بخوفها وامنها ولا تتحول الى بلد حتى تسال عن مرافقها وسيرة سلطانها

وقوة عدوها وكان يقال انظر الى المنتصح فان اتاك بما يضر غيرك

ولا ينفعك فاحذره فانه شرير وان اتاك بما يضر غيرك وينفعك فاعلم

انه طامع وان اتاك بما لا يضر غيرك وينفعك فاصغ اليه وعول

عليه وكان يقال اخصص بالمشاورة ذوي النجدة والحنكة

من طبقتك فان من ليس من طبقتك يحرجك برايه عن حدك ويثني وينك

مناسبة ساعية وهي احتقار الجرم غير اني اعرف في علمها وار شح

في حكمها ولا امر ما اخرت حرث هذه الارض الخبير بها ۞ وقد قيل

طبقتكم صح

69

على وجه الدهر فتلك ارض جاهلها وقل ارضا خابرها ما قبل راى لا طامع
ولا خادع وازهد في منزلك الذى عمرته بالرغبة وبالثقته
وعاملته بالمفت لا بالمقة ليلا يكون كالنام فى الظل
الممتد فى صدر النهار فيوشك ان تتوقطه الشمس بحرها فلا
يجد للظل عينا ولا اثرا واعز ناصحك المنفق عليك من عقله
ليلا يكون كمن يحاول استقامة ظل العود المعوج
فاذا اسمع مقالة ابى الحسيل امكن ان لا يصادف منه قبولا
وان لا يجعل لها هوادا الى فكرته سبيلا وغيل الى الرفاهية ويشق
عليه الانتقال الى اعلا الرابية لاسيما عن منزل حسنه ووثره
وادخر فيه من الطيبات ما استكثره فيفهم عنه ابو الحسيل
ان ليس في قواه معصية هواه ويمكن ان يضرب له مثلا اخر
فيقول لو ان جبلا في ربده غار وعلى قنته اشجار وقد اوطن
الغار سنور من اليمام عليهن ملك يسمى الشيب واوطن

الاشجار سرب من الحمام لهن ملك يسمى الهديل ولم يكن لهن مورد الا عينا
بكية المنبع ضيقة المشرع والمكرع فازدحم السربان يوما عليها
فنال بعضهن من بعض منالا وازدرع في صدورهن احقادا
وحول صلاح ما بينهن فسادا وكان يقال اذا ازدحمت الشهوات نجمت
العداوات واداهن ذلك الى التجاذب والتحارب وكان للنسيب
ذا خرامة وشهامة قد ذاق حلو العيش ومره وبلا خير الزمان وشره
ومارس نفعه وضره وكان الهديل سيدا ناعما ابيا الا انه نشا اليف
رفاهية وحليف بطالة وهي ما هيه فلو ان الله سبحانه اتى الهديل
والنسيب واصحابهما من افهام الكلام ما اتى الهدهد سليمن
عليه السلم لم يكن ذلك من ايات الله عجبا ولا امكن الهديل اذ
صار ملك الحمام اليه اباه اهل الجد والكفايه واهل الهزل والغوايه
كل يريد ان ينفق اليه والزلفه لديه ❀ وكان يقال الملك كالسوق
تجلب اليها ما كان نافقا فيها فكان اذا خلا باهل الجد يتمهوه بالنصائح

على اعتماد المصالح والاعداد للخطوب في المهل الفساح فاتبعوه واذا
خلا باهل الهزل اعتمده بالفكاهات وحسنوا له انتهاز
فرص الشهوات فاطربوه فيحمله ذلك على ان يحتم لاهل الجد
فاجتنبوه وهش الى اهل الهزل فخلبوه واستنوزرهم يا
حدث من معاداة النسيب فهوبان عليه امره ويصغر ان عنده
قدره وخطره ان احدك فانه يكفيه ويبلغ له ما امله فيه ويكون
القمرى والدبسى يتبرمان عند الهديل ليلا ويحضران طعامه وقد
علم الهديل ان القمرى جبان منخوب الفواد وان الدبسى شره الى
الاستكثار من الزاد ✿ وكان يقال الجبن حرص على تاخير الاجل المحتوم
والشره حرص على تغيير الرزق ~~ورجاء دفع ما قدر انه لاق~~ المقسوم
ولا اسوا حالا ممن سعى لتبديل الاجال والارزاق ورجاء دفع ما قدر انه لاق
وان لا يقيه منه واق ويكون كل واحد من القمرى والدبسى قد راض
نفسه بالادب على كتمان علته وغوايه خلته ويكون الهديل

فذا غضى عمّا سترا وقبل منهما ما اظهراه ۞ وكان يقال
اعدل شاهد على الله تعالى لم يعط الرعية من وفور الالباب
ما اعطى الملوك الارباب ان الرجل من بطانة الملك يجنى عليه
الجناية التى عقوبتها سفك دمه وسلب نعمه والملك قد يبن
على ان يعاقبه فلا يفعل بل يصطبر على اذاه ويغضى على قذاه ويحربه
على ما اسم تكرمته ولا يغير ما به من نعمته وعقول افاضل
الرعايا لا يتسع لبعض هذا فيكون الهدبل اذا قرب اليه
الطعام حض الدبسى على الاكل من فضله وكرر العزيمة
عليه فى الازدياد منه لسد شهوته ويستر عليه شرهه ويحفظ
عليه ادبه ولا يعامل القمرى بمثل ذلك لعلمه بانه غير شره
الى الطعام واذا انصرف القمرى من عنده الى اهله امر خدمه
ان يتبعوا معه الى مثواه ليستتر عليه جنته الذى اخفاه ولا يعامل
الدبسى بمثل ذلك لعلمه انه غير محتاج اليه فيحسد كل واحد

71

منهما صاحبه ويتفس عليه ما خصه به الهديل دونه وكان يقال
الحاسد مبتلى غير مرحوم وظالم في صورة مظلوم وحقيقة امره انه
اعترض على ربه فسخط قسمته وخطا كلمته وكان يقال ما جاوز
الحسد دينا الا افسده ولا افضى الا اليه الا انشده وكان يقال على وجه
الدهر الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه
ثم ان النسيب ترسل الى الهديل من عتبا في زوج الهدنة وداعيا
الى عود الالفة فيستنشر الهديل وزيره فيستبين ازعليه بان لا يعرف
لها امره اهتماما ولا يتعجب بذكرها الا واما النسيب فيستوعر مهاد
التسويف ويستويل عاقبة التزييف فيعمل بالحزم ويديم ذرع
الصبر وينعرف اخبار الهديل ويحث بها ويستترها ويطلع جهرها
وسترها فاذا علم سوء تدبيره في تدبيره وكان يقال من سعادة المرء
ان يسير عدوه بين هوى يكفيه مؤنته ويحبس على الظفر به
معونته وكان يقال لا يزال الحازم من الملوك يخاف ظهور

عدوه عليه حتى يتجاوز فضايا العقل الى فضايا الهوى فحينئذ
تجد ريح الغلب وثيق بحسن المنقلب فيستنشر التسيب
اصحابه فيتفقون على ان الراى ان نكف عن الهديل ويحترس منه حتى
يبلغ في الدعة والاتراف حدود الاسراف فان تسلطت
لا نالوه خسارا ولا تزيد امره الا ادبارا والبطن مع ذلك ان
عدوه يهابه فيناكد غيه واعجابه فيضبط رعيته ويحسن
سياستها ويباشر بنفسه ويثقف اصحابه حراستها ويظن اصحاب
الهديل ان التسيب امسك عن غزوهم نضالا عن فوتهم
وتهيبا لسطوتهم فيستوطنون البغي على اليمام مركبا ويختارون
البغي على الرشد مذهبا فاذا انتهى ذلك الى التسيب حض
اليمام على الاصطبار واعلمهم ان الباغي هدف التبار
ومثل الاعتبار وكان يقال من صبر عن الطمع في الخلق
ادخله الصبر الى الورع في الدين ومن صبر على الورع في الدين

ادخله الصبر الى الزهد فى الدنيا ومن صبر عن اذى الخلق ادخله
الصبر الى العدل ومن صبر على اذى الحلق ادخله الصبر الى الاحسان
اليهم ومن صبر على الاحسان الى المسيئين كان الله تعالى وكيله
وحسيبه فصنع له واجبه ؛ حتى اذا انقام بغى الحمام على اليمام
جمع النسيب خاصته وعامته وامرهم بالبكور اجمعين
ليردموا نالك العين التى تجر الضيم وتجلب الغيم وبعده اليمام بالطاعه
والقبول ويضمن له بلوغ المامول وينهى ذلك الى ولى الحزم
من الحام فيفطنون للشر والكيد ويحتفهم ما اعطى النسيب
من المكر والايد ويحثون على قصد الهديل وعنابه ويجدون
على بابه فاذا اذن لهم برّهم وعاملهم بما سرّهم واستوضحهم اثرهم
وخبرهم فيفضون بالشكر حق اياديه ويكاشفونه بما كرهوه
من غفلته عن معاديه ويحثونه على النظر فى العواقب والحذر
من العدو والمصاقب فيامرهم باستشعار الطمانينه ويعدهم

بالفتوح المبنية ويخبرهم مع ذلك انهم اعتنوا بما كلفوه وسعوا

فيما لم يكلفوه فينصرفون عنده ملومين منلاومين ❁ وكان

يقال خير الملوك من اشرب قلوب رعيته محبته كما اشعرها

هيبته ولن ينال ذلك منها حتى يظفر منه بخمسة اشياء

اكرام شريفها ورحمة ضعيفها واغاثة لهيفها وكف عدوان

عاديها وتامين سبل رايحها وغاديها فمتى اعدمها شيا من هذه الاشياء

فقد احقدها بقدر ما افقدها ❁ وكان يقال الاسباب

التي تجر الهلاك الى الملك ثلثة احدها من جهة الملك وهو ان يأمن

شهواته على عقله فيستهويه طفوح نشوات الشهوات فلا

تسنح له لذة الا اقتنصها ولا راحة الا افترشها والثاني وهو من

جهة الوزراء وهو تحاسدهم المقتضي تعارض الاراء فلا يبسو احدهم

الى حق الا افند وعورض وعوند والثالث من جهة الجند المناهلين

لتمكين الملك والدين وتوهين المعادين وهو النكول على الجلاد

وترك المناصحة في الجهاد وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم فابطرهم
الاتراف وضنوا بنفوسهم عن التعريض للاتلاف وصنف قدر الملك
عليهم الارزاق فاضطغنوا الاحقاد ولزموا النفاق ثم ان
الهديل يستشير وزيره فيقول القمري اني اظن ان ما اظهره
التشبيب من العزم على ردم العين ليدوري به عما نواه وجعله
ذريعة الى ما سواه اذ كان محتاجا الى ماء العين كما جئنا والراى
المبادرة بالاحتراس بان نجعل الحمام فرقتين فرقة تحرس نهارا وفرقة
تحرس ليلا فلسنا كاليمام لان اليمام ياوي جميعا الى حصانة
غار فاما الحمام فمفترقات في اغصان الاشجار فخالفه الديسي نكدا
وحسدا فيقول ان التشبيب عدم الايد واهي الكيد بل الراى
عندي ان ابكر غدا في حماة الحمام الى العين فان اقدم عليها
فجعته بانصاره وان نكص عنها غزوته في عقر داره فجرعته
كاس بواره فيعرض الهديل عن راي القمري ويزهد فيه لما يعلمه

من جنبه الذي تخفيه ثم يأمر الدبشي باستعداده وغدوه يحترسا
من كيد عدوه ؛ واما النسيب فيأتيه جواسيسه بذلك
واذا ذهب اكثر ليلته امر ضعفاء الحمام فاستترن وانحزن
وامر عليهن حازما وامره ان يكون لباب الغار ملازما ثم انطلق
في جمهور الحمام فبيتوا كمينا ورتب على الحمام عينا امينا
وغدا الدبشي حين اصبح ليعمل ما امل فاتى النسيب امينه بنبأ
يقين فتمايل وطن الهديل فمنع راسه وانزل باصحابه باسه ولم يزل
عشا الا استنزله ولا حوزا الا اجزله ؛ واما الدبشي فبينا هو
متوجه من العين الى الغار اتته المنهزمة بالاخبار فاعتصم هو
واتباعه بالفرار ؛ ثم يقول ابو الحسين لنبيل هذا مثل فيه
حكم نفايس تنتفع بها الرئيس والسائس واما انت فلك منه
حظان احدهما ارتياد منزل حصين والثاني الانقياد للذي
الراي الرصين فينصرف عنه نبيل وهو هازئ به ساخر منه ينسبه

لبى الجرف ويوطن مسكنه حتى ينمى ولده ويكثر عدده ويذهب
يوما لبعض شانه ثم يعود فيجد السيل قد احدق بالربوه احداق بياض
العين بسوادها فيقف على ضفة الوادى متحسرا لفساد مسكنه
وهلاك ولده وسكنه فيناديه الضب من اعلا الرابية كيف
وجدت عاقبة اضاعة الحزم ومعصية النصيح فيقول ويله
فيقول خفض من اسفك وكمدك فان النعمة فى نفسك
وولدك تربى على المصيبة فى اهلك وولدك واشر النعمة
بشكرك ولا تنهض عن وكرك وكان يقال
اظهر البشر لثلثة الصديق والعدو والنعمة ٭ وكان يقال
اذا اصابك المحسن اليك باساءة فلا تنقبض عنه ودم على شكره
فان هذا الوجه شفيع لك عنده فيقول ما اشقانى ايها
الحكيم بمعصيتك والبعد عنك وحق قال بعض الفضلاء
ينبغى لمن وهب له بصيرة ان يصحب العلماء المستعملين لعلمهم ولو كنت

ذا بصيرة لعلمت انك لم تجشم نفسك صعود هذه العقبة الكؤود
على ضعف بدنك وكبر سنك الا لمعنى اوجبه الراى المصيب
ثم يمهل قليلا حتى يذهب السيل ويعلو الرابيه ويتخذها مسكنا
ويوطنه قرير العين حتى ينزل به محتوم الحين قال صاحب الكتاب
فقد انهيت المثل الى مداه الذى نويت وها انا اعود الى ما عداه
مما رويت ثم ان الاركن ركب فى خاصته وحمايته حتى اتى المعقل
الذى دله عليه وزيره فالفاه فى راى عينه افضل مما مثله الوزير
فى نفسه فحشد اليه العمال والاعوان والزمهم الاسراع فى اكمال
بنايه وبادر زمن فوته ونقل اليه خاص بيوت امواله ونفايس ذخايره
وخزاين سلاحه وثقات خدامه وحشد رعيته لحمل الازواد وغيره
من الاقوات اليه فاستكثر وهو مع ذلك يسد الثغور ويذكى
العيون فكتب اليه عيونه الذين بفارس ان انوشروان قد جهز اليه المرزبان
الذى يلى بلاده وذلك ان ملك بابل كان مصر وقالى اربعة مرازبة كل

مرزبان منهم على خمسين الف مقاتل يحفظ بهم ربعا من ارباع المملكة

فحدا الاركن الجنود الى ان افتتح المرزبان اطراف بلاده في الجيوش المتوافرة

ونازل الثغور وظهر دعاة كسرى بتلك الناحية فمن استفسد ومن

اهلها فظهر المرزبان على من باز له واستعمل على الثغور العمال

ورتب فيها الحماة ثم سفل لا يمتنع عليه مرام حتى وافته جنود الاركن

فدافعته بعض الدفاع وانهزم من فسدت طاعته فهزم المناصحون

بانهزامهم فاستولى المرزبان على عسكرهم واستبقى النفوس

واخذ الاموال ثم جاوزهم يطوي المملكة طيا وكان

الاركن عندما افتتح المرزبان ثغوره بعث باهله وحشمه الى ذلك

المعقل ثم جمع وجوه ماطني حضرته ودار ملكه فوعظهم وذكرهم

سالف احسانه وذكرهم ما بلغه عن بعضهم من الخيانة وانه كره تعيين

الخائنين وعفو ثم رحمة لهم وابقاء عليهم ✱ قال صاحب الكتاب

عفا الله عنه كان يقال قد تعامل الرعية المستمرة بالرفق فتزول

احقادها وبذل مقادها وقد تعامل بالحزن فتكاشف بما
عبث وتقدم على ما نهبت حتى تعود نفاقها شقاقها وقطارها
سيلا كما تران غلبت وقهرت فهو الدمار وان قهرت وغلبت
لم يحصل مقابلها افتخار ولم يدرك بقهرها ثار وكان يقال الرعية وان
كانت ثمارها مجتناه وذخاير مقتناه وسيوفا منتضاه فان لها
نفارا كنفار الوحوش وطغيانا كطغيان السيول ومتى
قدرت على ان تقول قدرت على ان تصول قيل فلما قضى الاركن
كلامه تنصلوا مما قرفوا به عنده وحلفوا على استقامة طاعتهم
فقال لهم ما معناه اني لم ادعكم لهذا ولست بناكل
عن عدوي ولا آنس من الصبر عليه ولا معين احدا منكم
بالتهمة غير انه اخبرني بعض وزرائي ان ملكا من سلفي
شرع في بناء معقل وحال بينه وبين تمامه الاجل المحتوم
على عالم التركيب فدعاني الى تكملة ما عني بجدي

76

قول الحكماء ان ابر الملوك باساً لاقله من ثمرته شعيبهم
واعفهم من انقطع سعي سلفه ببدئه او عند انتهايه اليه ثم اني
احببت ان اجعله من عددي وذخايري لقول الحكماء ان
احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا العقل تحوين وقوعه في ذوايه
احكاما وقولهم يجب على الملك ان لا يخلو من خمس معاقل
يحصن بها وزير صالح يتحصن برايه في الشدة والرخاء وسيف قاطع
يحده اذا اغشي وفرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه
الثبات وامراة حسناء يحصن بها بصره وفرجه وقلعة
منيعة يتحصن بحلولها اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل
لتكمل به حصوني ونقلت اليه ذخايري وما يكرم
على فمن اراد منكم ان يقتدي بي في فعلي اخذا بالحزم
فليفعل واذن لهم في جوابن عنه فاقتدى به من كان
سليم الطاعة فجهز والى ذلك المعقل اهليهم ونقلوا

اليه اموالهم واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة

بطونها طي السجل لا يبقا ومه جيش الاهربه حتى اشرف على حصن

الاركن. فنزل على فرسخ منها وتاهب الاقدام عليها وقد كان

الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرج ممن استقامت طاعته امة

عظيمة وخرج الاركن في اربعة الف بطل من عبيده واهل

النصان في طاعته فقام فيهم بمعزل عن جموع المدينة بظاهرها

وعبا قبوله ورتب صفوفه وكان في المدينه داعيان من دعاه

كسرى فاهتبلا الفرصة عند خروج الاركن عنها فظهرا

واتبعهما من كان على رايهما فوثبوا على خليفة الاركن

على المدينة فقتلوه واستولوا على المدينة فضبطوها وبينما

الاركن قايما في جنوده خرج اليه رئيس الزمازمة زاجلا حاسرا

يلطم راسه وينتف شعره فامر الملك بحمله معه على فيله

واستخبره فاخبره بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته

فانحاز الملك بعبيده وخاصته ومن اتبعه من رعيته حاميه نحو
الحصن وندر به المرزبان فجرّد خيلاً لاتباعه فادركوه فوقف
بازايهم يدافعهم وسار حتى دخل الحصن ودخل المرزبان المدينه
فامن اهلها واحكم امرها وسار في الجنود حتى انتهى الى معقل الاركن
فراى منظراً رايعاً ومعقلاً مانعاً ولم يمكنه النزول
بساحته حذراً فنكص عنه الى حيث امن ونزل في جنوده
ثم كتب الى الاركن كتاباً خاطبه فيه بالتعظيم وعرض
عليه خصالاً كلها ان يرده الى مملكته على ان يسو بالطاعه
لكسرى فلما انتهى رسول المرزبان الى الاركن حجبه ولم ياخذ
الكتاب منه وامره بالعود الى مرسله فتيئس المرزبان منه
وكان يقال صرفك البصر الى عدوك اضاعه واصغاؤك
الى حديثه طاعه ؛ وكان يقال اذا امكنت عدوك من
اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهن

سحره ∴ وكان يقال عجبا لمن يصغى الى عدوه سمعا وهو لا يرجو
عنده نفعا ان وكان يقال اذا عجزت عن التحصن عن كلام
عدوك فانت عن التحصن من كيده اعجز ∴ ثم ان المرزبان
عاد الى المدينه فنزلها وكتب الى كسرى بالفتح واستطلع
نهيه وامره وكتب اليه كسرى ان يقيم بتلك المملكة ويحسن
الى اهلها ويترك التعرض للاركن في حصنه الذى اختار
لنفسه البقاء فيه على الرجوع الى مملكته وان يتحرز
منه مع ذلك ويضبط المسالح ويذكى العيون على سبله
ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك مدة وجعل
اغنام الفرس يعيثون ويعاملون الهند بالقسوة والفظاظه
فدبت الشحناء في النفوس ورأى الهند خراج ارضهم يحمل ويصرف
الى غير اهلها فدخلتهم الغيرة والحمية وعرفوا فضل ما كانوا
فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا السنتهم بالتسخط والتوقف

78

المرزبان عن ذلك عنهم لئلا يوحشهم فكان امرهم الى زيادة فكان

يقال ايدى الرعية تبع لالسنتها فلن يملك الملك السنتها

حتى يملك جسومها ولن يملك جسومها حتى يملك قلوبها فتحبه

ولن تحبه حتى يعدل عليها في احكامه عدلا يتساوى فيه

الخاصه والعامه وحتى يخفف عنها المون والكلف وحتى

يعفيها من رفيع وضعائها عليها وهذه الثالثه تحقد العليه

من الرعيه وتطمع السفله في الرتب السنيه ؛ وكان

يقال الرعيه ثلثه اصناف صنف فضلاء مرتاضون بحكم

الديانه يعلمون فضيله الملك وعظيم عنايته ويرثون

له من ثقل اعبائه فهولاء يحصل الملك مودتهم بالبشر

عند اللقاء وتلقي احاديثهم بحسن الاصغاء وصنف فيهم خير وشر

ظاهران فصلاحهم على المعاملة بالترغيب والترهيب وصنف

من السفله الرعاع اتباع كل داع لا يمتحنون اقوالهم ولا

اعمالهم بنفقد ولا يرجعون في الموالاة الى عقد فسياسة
هاو لامره باخافة غير مقنطة وعفوه على الجرائم غير مفرطة
وكان يقال ترك المعاقبة للسفلة على صغائر الجرائم مدعاة لهم
الى ارتكاب الكبائر العظائم الا ترى اول نشوز المراة
كلمة سومحت بها واول حران الدابة حيدة سوعدت
عليها ٥ واما الاركن فانه لما استقر في حصته شاور وزراه
فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذى وبسط العدل والاحسان
وتامين السبل واجارة الخائف والصفح عن المجرم وتالف
المستوحش والاخذ بالعفو والفضل والتزم ذلك كله
وكانت سمعته تزداد حسنا والنفوس اليه ميلا والالسنة
له شكرا واتفق ان عاملا من عمال المرزبان على ثغر من الثغور
بتلك المملكة اساء السيرة فقام اليه افضل اهل
عمله فوعظه فكتب العامل الى المرزبان يشكو ذلك

الرجل ويذكر انه يعارضه ويولب عليه العامه فكتب
المرزبان ان احمله الي مقيدا فقيده وبعث به مع جماعة
من الجند فتبعهم احداث من فتيان الثغر فقتلوا الجند
واطلقوا صاحبهم فرجع الرجل الى العامل واعلمه ان ما فعله
الاحداث لم يرضه وانه مطيع لامره فامر العامل به فضربت
عنقه وكان ذا منزلة من اهل بلده فوثبوا بالعامل فقتلوه وجماعة
من اعوانه وشردوا الباقين وضبطوا ثغرهم وانضوى اليهم
من كان في غير معقل وكاتبوا من يليهم وفعلوا كفعلهم
وانتقضت الطاعة لكسرى في كثير من تلك الارض وبلغ
ذلك المرزبان فجمع جنده وتحفظ وكتب الى كسرى يستمده
وقد كان اهل حضرته لما خرج عنهم رئيس الزمازمة في صحبة
الاركن رغبوا الى المرزبان ان يولي عليهم خليفة مكانه
وكان ذلك الخليفة ذا نسك وزهد مرضيا عندهم فولاه

المرزبان حتى اذا راى ما صار اليه امر المرزبان من الذعر والحذر وقصد
من خافه من اهل حضرته وغيرهم بالاذى والعقوبة دخل على المرزبان
فقال انى اريد اسألك عن كلام بلغنى عن اردشير بن بابك
فقال ما هو قال قد تخرج الرعية بعنف السياسة
الى ما لم تكن تؤمله من المعيشة وبلغنى انه قال ينبغى لمن تغلب
على ملك فغصبه ان يحفظ الشريطة والصورة التى تسلم عليها
تلك المملكة فانه متى عمل فيها بما لا يرضى الرب الاعظم اخرج
ملك المملكة من يده على تلك الصورة والشريطة بعينها
فانهما محفوظتان عليه وثابتتان فى عقد التسليم منه
فقال له ما لك لا تراعى هذا وتعمل بمقتضاه فغضب المرزبان غضبا
شديدا وانتهر الشيخ وتهدده وكان ضعيف البنية فسقط
مغشيا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت محنة
العامة والخاصة بموته وسالت الفاله وسمحت النفوس من الهفاف

بما كانت منقبضة عنه ٥ قال صاحب الكتاب عفا الله
عنه ليس من شان ذوي الحزم مكاشفة الملوك بالنصائح
في المحافل الا ان يستدعي الملك ذلك منه استدعاء جزما
ولا يعفي عنه واقل ما في ذلك ان يدخل الملك الحميه والانفه
فيطرح النصيحة ويصر على الامر الذي كره منه او نهي عنه
كما روي لنا ان اعرابيا استاذن على سليمن بن عبد الملك
فلما قام بين يديه قال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام
فاحتمله وان كرهته فان وراه ما تحب ان قبلته
فقال له سليمن انا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه فقل
فقال يا امير المومنين انه قد تكنفك رجال اساوا الاختيار
لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط الله عز وجل
وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للاخرة سلم للدنيا
فلا تامنهم على ما ايتمنك الله عليه فانهم لن يالوا الامانه تضييعا

والامة عشقا وانت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين
عما اجترحت فلا تصلح دنياكم بفساد آخرتك فان اعظم الناس
غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمن اما انت يا اعرابي فقد
سللت لسانك وهو امضى من سيفك فقال انما سللته لك
لا عليك ولم تؤثر هذه النصيحة استبدادا لا باصحابه بل بان سليمن
حتى فهم من كلامه انها كانت عليه اشد من الضرب بالسيف
لكن الحازم ابرهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وذلك
ان الحجاج بن يوسف لما ولي الحرمين بعد قتله عبد الله بن الزبير رحمه
الله وفد على عبد الملك بن مروان واستصحب معه ابرهيم
بن محمد فاول ما بدا به من الكلام بعد السلم على عبد الملك
ان قال اني قدمت عليك يا امير المومنين برجل الحجاز لم ادع
بالحجاز نظيرا في كمال المروة والادب وحسن الطاعة والمذهب
والنصيحة مع ما له من حق القرابة وفضيلة الابوة وهو ابرهيم

بن طلحه بن محمد وقد احضر باب امير المومنين ليسهل عليه اذنه ويلقاه
ببشره ويفعل معه ما يفعل مع مثله فقال عبد الملك
يا ابا محمد لقد ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبا يا غلام ايذن له
فدخل فقربه ثم قال له يا ابن طلحة ان ابا محمد ذكرنا ما لم نزل
نعرفك به من الادب والفضل وحسن المذهب مع قرابة الرحم
ووجوب الحق فلا تدعن امرا من خاص حوايجك وعامها الا
ذكرته فقال يا امير المومنين ان اول الحوايج احق ان تفتتح
بها ما كان لله فيه رضى ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم
اداء ولامير المومنين وجماعة المسلمين فيه نصيحة
وان عندي نصيحة لا اجد بدا من ذكرها ولا يمكنني
البوح بها الا على حال خلوة فاخلني ترد عليك نصيحتي فقال
عبد الملك انسرها عن ابي محمد يعني الحجاج قال نعم فقال
عبد الملك للحجاج قم فقام فلما جاوز الستر قال عبد

الملك لابراهيم بن محمد قل نصيحتك فقال يا امير المومنين انك عمدت
الى الحجاج فى تغترسه وتجرفه وبعده من الحق فوليته الحرمين وبهما
من بهما من بقيه المهاجرين والانصار والموالى والاخيار واصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابناء اصحابه يسومهم الخسف
ويطوهم بالعسف ويحكم فيهم بغير السنة ويبص فيهم بطعام
اغنام لا رويه لهم فى اقامه حق ولا ازاحه باطل افنظن ان
ذلك بينك وبين الله عز وجل زاهق وفيما بينك وبين رسول
الله اذا اقامك للخصومة فى امته كلا والله لا تنجو هناك الا بحجة
تضمن لك النجاة فارع على نفسك او دع فقال له عبد الملك
كذبت يا ابرهيم ومننت وظن بك الحجاج ما لست له اهلا وربما
ظن الخير بغير اهله قم فانت الكاذب المائن قال فقمت وما
ابصر طريقا قال فلما خلفت الستر لحقني لاحق من قبله
فقال للحاجب احبس هذا عندك واذن لابى محمد فدخل

فلبث عنده مليا ثم خرج الاذن فقال لي قم يا ابن طلحة فادخل فلما
كشف لي الستر لقيني الحجاج وهو خارج فاعتنقني وقبل ما بين
عيني ثم قال اذا اجزى الله المتواخيين بفضل تواصلهما
فجزاك الله افضل ما جزى اخا واصلا والله لئن سلمت لك لارفعن
ناظريك ولاعلين كعبك ولاوطين الرجال غبار ذيلك
قال فقلت تهزأ مني ولما وصلت الى عبد الملك اجلسني
مجلسي الاول ثم قال لعلك يا ابن طلحة شاركت احدا
اظهر عندي من الناس في نصيحتك التي ذكرت لي فقلت
لا والله ولا اعلم احدا اظهر عندي معروفا ولا اكرم
يدا من الحجاج ولو كنت محابيا احدا لحابيته ولكني آثرت
الله ورسوله وانت والمسلمين عليه فقال قد علمت ولو
كنت اردت الدنيا لكان لك في الحجاج غنى فقد عزلته
من الحرمين لما كرهته من ولايته عليهما واعلمته انك استنزلتني

له عنهما اصنصنعا انّ الهما عن قدره وفد ولبنه العرافين
لما هنالك من الامور التي لا برخصها الامثله واعلمته انك
اسند عبت له ذلك متى استزاده له ليلزمه من حقك
ما بودي به اليك عني جزاء نصحتك فاخرج معه فانك لا تدم
صحبته ٥ قال صاحب الكتاب لكن اذا اسند عى
الملك النصيحة في المحفل وجب ادا الحق اليه ان غلب على
ظن الناصح السلامه منه الا ان يكون الناصح ممن
يوثر رضى الله راضيا بمواقع قضاه وغير مبال بما ناله من
المكروه فهذا مقام في اليقين رفيع وفيه احاديث
عن السلف لسنا نذكر منها حديثين مشهورين بقربان
من هذا المقام احدهما ما روى لنا من حديث الزبير
ان سليمن بن عبد الملك قدم المدينه فاحضر ابا حازم ٥
فاستوعظه ثم قال له ما تقول فيما نحن فيه قال اعفني يا

امير المومنين قال لا اعفيك وهى نصيحة بلغتها الى فقال
ان اباك قهر الناس فاخذوا هذا الامر عنوة من غير مشورة
للمسلمين ولا رضى منهم وقتلوا على ذلك مقتلة عظيمة وقد
قلوا انك شعرت ما قالوا وما قيل فيهم فبكى سليمن وقال
بعض جلسايه لابى حازم بيس ما قلت فقال يا اخى ان الله اخذ
الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه
فقال سليمن كيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال
ابو حازم خذ المال من حله وضعه فى حقه قال ادع الله
لى قال ابو حازم اللهم ان كان سليمن وليك فيسره
لخير الدنيا والاخرة وان كان غير ذلك فخذ بناصيته الى ما
يحب وترضى قال اوصنى واوجز فقال عظم ربك ان يراك
حيث نهاك او يفقدك من حيث امرك * والحديث
الاخر ما روى لنا ان الرشيد رحمه الله اراد لقاء

الفضيل بن عياض وهو بمكة فقيل له ان علم طلبك
له هرب فقصد منزله ليلا ومعه صاحب له اسمه العباس
فلما دنا من الباب سمعه يقرا ام حسب الذين اجترحوا
السيئات الاية فقال الرشيد ان انتفعنا باحد فبهذا
ودق العباس الباب فقال الفضيل من قال انا فضمن
عنه ثم دق العباس الباب فقال الفضيل من قال انا
وتكرر ذلك منهما حتى قال العباس افتح لمن تجب
عليك طاعته فاطفا الفضيل المصباح وفتح الباب
وجلس في وسط البيت فجعل الرشيد يتلمسه حتى
وقعت يده عليه فقال الفضيل اوه من يد ما الينها
ان نجت غدا من عذاب الله فجلس الرشيد اليه فقال
له عظني فقال يا امير المومنين اعدّ لاجابه الله سبحانه
جوابا فانك غدا تقوم بين يديه مع كل مسلم ومسلمة

فبكى الرشيد فاكثر فقال له العباس قتلت امير المومنين فقال
الفضيل اسكت يا هامان فتلته انت واصحابك فقال
الرشيد للعباس ما قال لك هامان الا وانا عنده فرعون
ثم قال هرون هذه الف دينار من اطيب المال
ورثتها عن امي فخذها فقال الفضيل ردها على اصحابها
قال الرشيد عزمت عليك لتاخذنها قال ردها على اصحابها
فهو خير لك وراجعه مرارا فقال له العباس خذها
الان راجع امير المومنين فقال لا جزاك الله خيرا اقول
له ردها على اصحابها فيقول لي خذها ثم اعود لبقية
حديث المرزبان والاركن قيل لما اعظمت الرعية موت
القيم بامر دينها وعدمت المرزبان بشناعة فنالهم مرج امرهم
وتحزبوا فاسند على المرزبان وجوههم فوعظهم وحذرهم
بطش كسرى ورغبهم في العافية وجمع الكلمة على الطاعة

فارضوه بالسنتهم ونسلوا عنه وغلط امر اهل الثغور

والاطراف المنتقضى لطاعته له وشغل المرزبان عنهم بتحصين

دار الملك وانتظار من يأتيه من جهة كسرى انوشروان

فارسلوا الى الاركن يسلونه العفو ويرغبون اليه فى ان

يبعث اليهم رجلا يلبون له بالطاعة ويبذرون بامره

فاعطاهم امانا عاما واستعمل عليهم رجلا كافيا

فالقوا اليه ازمتهم واستنصروا فى طاعته ونصحوا فى الذب

عنه فاضطر المرزبان الى ان يبعث اليهم جيشا ففعل فما

كان باسرع من ان جاءه منهزمهم ولم يجد بدا من الخروج اليهم

فحصن دار الملك باحاد رجاله واستخلف عليها من وثق بكفايته

وفصل عنها فى جيش كثيف فوثب اهل المدينة على اصحابه

فقتلوا اخيارهم ونفوا من استضعفوه منهم واحرزوا مدينتهم

وانتهى خبرهم الى المرزبان فاستمر لوجهه خارجا من ملك

المملكة على الشريطة والصورة اللتين اخرج الاركن عليهما حتى قدم على انوشروان طريدا مفلولا وعاد الاركن الى دار مملكته فجرى على سنن العدل اخذا بالحزم نابذا للراحات قامعا للشهوات مستعملا لما افادته التجارب من الاداب حتى بلغ اجله

روضة رايقة ورياضة فايقة

بلغني ان امير المومنين عثمن رضي الله عنه قال يوما لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت ان رجلا صدوقا اخبرني عن نفسي وعن هولاء يعني الذين حصروه فقام فتى من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المومنين انك نطاطات لهم فركبوك وتغافلت فسلبوك وما جراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت اجلس ثم قال هل تعلم ما يشب نيران الفتن قال نعم سالت عن ذلك شيخا من تنوخ كان نافعة قد نقب في

الارض وعلم علما جما فقال لي ان الفتنة يثيرها امران

احدهما اثر تضغن الخاصة والثاني حلم يجري العامة

فقال له وهل سألته عما تخمدها فقال نعم زعم ان

الذي تخمد الفتن في ابتدائها استقالة العثرة وتعميم

الخاصة بالاثرة فاذا استحكمت الفتنة اخمدها الازم يعني الصبر

قال عثمن رضي الله فهو ذاك حتى يحكم الله وهو خير

الحاكمين

تفسير الفاظ يشتمل عليها هذا الخبر

قوله باقعة اي ذو دهاء وتجربة ويقال فلان باقعة بقاع اذا طوف

في الارض فاستفاد التجارب وقوله الاثرة هي ان تخص بالتكرمة

والصلة بعض المستحقين لها دون بعض وقوله يضغون

اي يحقد والضغن الحقد الكامن وقوله الحامة يعني

الخاصة وقوله الازم يعني الصبر وحقيقته الحبس والامساك

86

للشيء بالاسنان وغيرها قال صاحب الكتاب هذا الحديث
ينحو الى نحو ما حكى الفرس ان يزدجرد بن بهرام سال حكيما
من الفلاسفة ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية
واخذ الحق منها بغير عنف والتودد اليها بالعدل
وامن السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح
الملك قال وزراه اذا صلحوا صلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف
ان الناس قد اكثروا القول في الفتن فصف لنا
ما يثيرها فقال يثيرها ضغاين يظهرها جراة عامة ويولدها
استخفاف خاصة ويوكدها انبساط الالسن بضماير
القلوب واشفاق موسر وامن معسر وغطلة ملتذ
ويقظة محروم قال يزدجرد وما الذي يسكنها ايها
الفاضل قال يسكنها اخذ العدة لما يخاف وايثار
الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع للصبر

والرّضا عن القضا

السلوانة الرابعة وهي سلوانة الرضا

قال الله سبحانه عايبا من خطا حكمته وسخط قسمته
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم
نبههم على فضيلة ما حرموه من فضيلة الرضا عنه بقوله
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وجواب لو هاهنا
محذوف محال على مفهوم المخاطب تقديره لكان خيرا لهم
او رضي الله عنهم وما اشبه ذلك فهو من الاختصار وفي
حذف هذا الجواب فايدة لطيفة وهي والله اعلم ان ثواب
الرضا عن الله سبحانه هو رضا الله عن رضي الله عنه وارضاه
وذلك ما بهر الاسماع ذكره ويعجز العقول تكييفه
وحصره وانما يدرك ذلك من كوشف به بعد الزيارة واللقا

فی دار البقاء وما کان الذکر له لا یسفر عن حقیقة
فسواء اظهاره واضماره وقد وصف الله تعالی صفوته
من خلقه بالرضا عنه فقال رضی الله عنهم ورضوا عنه
وما من عمل اجلب لرضوان الله سبحانه من الرضا عنه
فی مکروه قضایه فی امور الدنیا وشدایدها ولا مدخل
للرضا عن الله سبحانه فی المصاب بالدین ومکروه القضایا
بالمعاصی لان الله سبحانه لا یرضی ذلک لعباده کما قال
ولا یرضی لعباده الکفر فکیف یرضینه رضاهم بما لا یرضاه
وروی لنا ان النبی صلی الله علیه وسلم قال ردوا هدیة
الفاجر علیه لا یری انکم ترضون عمله واذا حرم علینا
ان نرضی فجور غیرنا فکیف نرضی ما ابتلینا به من الفجور ولکن
یلزمنا ان نعتقد ان الله سبحانه عدل علینا فیما ابتلانا به
من المعاصی والرضا عن الله سبحانه انما هو فیما قدمناه روی

ان موسى عليه السلم قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت
عني فاوحى الله عز وجل اليه انك لا تطيق ذلك فخر
ساجدا متضرعا الى الله سبحانه ازيد له على ذلك ويطوقه
اياه فاوحى الله اليه يا ابن عمران رضاي في رضاك بقضاي
وقد قام بهذا المقام العلي جماعة من صحابة سيدنا محمد
النبي واله صلى الله عليه وسلم

اخبار نبويه في الرضا

مما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسلك
الرضا بعد القضا فقيل انما يتصور العزم عليه وتوطين
النفس وانما يتحقق الرضا بالقضا بعد حصول القضاء فانه صلى
الله عليه وسلم قال لابن عباس يوصيه اعمل لله باليقين
في الرضا فان لم يكن فيا لصبر فان في الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا ∴ وانه صلى الله عليه وسلم قال ان الله

بحكمه وجلاله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين
وجعل الهم والحزن في السخط والشك ∴ ومما روينا ه
ان النبي صلى الله عليه وسلم لقى رجلا من اصحابه وقد جهده
المرض والحاجه فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما الذي بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجه يا
رسول الله فقال له الا اعلمك كلاما ان انت
قلته اذهب الله عنك المرض فقال والذي بعثك بالحق
ما يسرني بخطي منهما اني شهدت معك بدرا والحديبيه
فقال صلى الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبية
ما للراضي القانع ∴ فانظر رحمك الله كيف فضل ثواب
الرضا عن الله سبحانه على ثواب الجهاد معه في سبيل الله في
افضل مشاهده

منثور ومنظوم الحكم في الرضا

مما رويناه ان امير المومنين عمر رضي الله عنه كتب الى ابي
موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضا فان استطعت
ان ترضى والا فاصبر وقال ابو الدرداء ذروة الايمان
الصبر للحكم والرضا بالقدر ؞ وقدم سعد بن ابي وقاص
مكة بعد ما كف بصره فانثال الناس عليه يسئلونه الدعا
لهم فقال له عبد الله بن السايب يا عم انت تدعوا الله للناس
فيستجيب لك فهلا سالته ان يرد عليك بصرك فتبسم وقال
يا ابن اخ قضا الله احب الي من بصري ؞ وقال عمر بن عبد
العزيز اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القدر
والرضا اطراح الاقتراح على المعالم بالصلاح ٥ اذ كان القدر
حقا كان سخطه حمقا قيل للحسن بن ابي الحسن من اين اتى الخلق
فقال من قلة الرضا عن الله تعالى فقيل له ومن اين دخلت
عليهم قلة الرضا عن الله قال من قلة المعرفة بالله ؞

من رضي حظي ومن اطرح الافراح استراح ۝ وقيل كن بالرضا
عاملا لا قبل ان تكون له معمولا فان سرت اليه عادلا والا
صرت نحوه معدولا ۝ ومما قاله صاحب الكتاب في الرضا

يا مفني عمري فيما يخفى وزاحمي فيما مضى ۰
عندي لما يقضيه ما ترضيك من حسن الرضا ۰
ومن القطيعة استعيذ مصرحا ومعرضا ۰

وقال ايضا

كن من مدبرك الحكيم على وجل على وجل ۰
وارضا القضاء فانه ختم اجل وله اجل ۰

وقال ايضا

يا من يرى حالي وان ليس لي في غيره قربي منه اوطار
وليس لي ملتجا دونه ولا عليه لي انصار
حاش لذاك العز والفضل ان يهلك من انت له جار

ولا كنا اهلتنى فهب لى رضا بكل ما تقضى وتختار

عندى لاحكامك بابا لكى ولك كما انعمت صبار

كل عتاب منك مستعذب ما لم يكن بعدك والنار

وله

اذا انا لم ادفع قضاء كرهته بشى سوى سخطى له وبرمى

فصبرى له من حسن معرفتى به كما ان رضوانى به من تكرمى

روضه رايقه ورياضه فايقه

قبل ان يزدجرد الاثيم بن سابور ذى الاكتاف لها ولد ابنه

بهرام جور اخبره منجموه بقوم مولده وسعادة جده ومصير

الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وانه ينشو غريبا

بين امة ذات همم عليه واحساب زكية ونفوس ونصير

الملك بهم اليه هكذا ذكر المعوزبا لسير والتواريخ

ومخرجه عندى انهم عرفوه من جهة الكهان المخبرين عن الحادث بما

استرق قوم من السمع فاما قضايا المنجمين على ما سوى سير الكواكب
والنيرات والكسوفات والمقارنات فباطلة وعلمهم
بهذا من جهة العادات الجاريات على نظام مستمر وكذلك
الامر فيما حذره نمرود وفرعون من المولودين الذين اخبر اهلاكهما
لاجلهما انما طريقه الكهانة لا التنجيم قيل فاوكر
يزدجرد في خصايص الامم ومزاياها فراى ان العرب اولى
الامم بتلك الصفات فكتب الى النعمن الاكبر بن امرئ
القيس بن علي بن نصر اللخمي بان يفد عليه في جماعة وافرة
من سادات العرب ففعل ولما حضروا يزدجرد برهم والطفهم
بالصلات واعلمهم انه يريد تمليك النعمن عليهم فرضوا بذلك
فتوج النعمن وملكه على العرب وسلم اليه بهرام
فجعله كافلا له فاسترضع له النعمن اربع نسوة امرأتين
من العرب وامرأتين من الفرس وساره الى بلاده فساله

الخورنق بعد ان اتفق الاطباء على صحة هوائه وفضيلة مائه
ولما فصل بهرام عن الرضاع واحسن الكلام بالعربية والفارسية
وبلغ خمس سنين ضم اليه النعمن من فضلاء العرب والفرس
من يؤدبه وكان من مؤدبيه من العرب رجل يسمى جلسا
كاد ان يجمع ما افترق في القوم من الادوات وكان نابغة
بقاع وعليما بكثير من لغات الامم وادابها وحكمها
وملاحها وبصيرا بالسياسات الملوكية وغنى بهرام عن مؤدبيه
عند مؤدبيه عند بلوغه خمسة عشر عاما فاعترف مؤدبوه
بفضيلته عليهم وصرفهم وامسك جلسا لعلوق نفسه به
ووفد النعمن ومعه بهرام على يزدجرد فامسك بهرام
وصرف النعمن مكرما فكان يزدجرد فيما زعموا فظا
متكبرا عسوفا جريا على سفك الدماء وغصب الاموال
ولهذا لقب الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها

وانغبه وكده وصرف اليه امر مجلس خلوته بعد ما ايّه قبل م
بهرام بما ناله من ابيه وشكا ذلك الى جليس فرق لشكواه
ثم قال له ما معناه جلا الله كربك واطاب ذكرك
واعلا امرك ان اولى الناس باخلاص النصائح من كان مؤملا
قال صاحب الكتاب عفا الله عنه وكان يقال النصائح
بشعة المبادي حلوة العواقب فهي كالادوية يسوء استعمالها
ويسر مآلها ويذم غبها ويحمد غبها وكان يقال الامين من الوزرا
والخاصة ينصح الملك بالدؤوب على الخدمة والصدق
في المناصحة والخاين يصحبه بالمداراة والتذلل والملق وكان
يقال يسعد النصحاء بالملك اذا كان مؤيدا بفضيلة
العقل منزها عن نقيصة الهزل فان لم يكن كذلك
شقي به النصحاء وسعد به المدهنون وهذا لان الناصح
يشفق على من نصح له من موهبة عقله وبالعقل يدرك

فضيلة العقل وكان يقال اشد اللوم ان نضن بالنصح
عمن سمح بالثقة وان نستر الصواب عمن همك لك حجاب
سره ❁ وكان يقال اولى العقلاء النصحاء بقبول ذلك
منه من كانت سعادتك علة لسعادته وصلاح حالك
شرطا فى صلاح حاله ومن كان بهذه الصفة فسعيه
لك سعى لنفسه قال حلس ما معناه انى قد سا فى
نصحى ابن الملك بما يلقى من خدمته ابيه وانى اشير عليه ان
يجعل مكان النصح فرحا وبشرا لان الملك استعمله على محل
راحته ومسرته فهو محتاج فى عمله الى اظهار الطلاقة
والبشر ومن صحب الملوك بما لا يوافقهم كان هدف
نبل الهلكة ولا يصلح ان يظهر ابن الملك من ذلك ما يبطن
نقيضه فان الريا ينصل عن الطبع والعبادة نصول
الخضاب من الشعر واذا امل ابن الملك لفضيلة التى كرهها

واستقبحها فابصرها بعين العدل والانصاف ظهر له حسنها
واجبها وهذا لان الملك وكل اليه حفظ نفسه في مجلس راحته
من نصب السياسه واستدفع بكفايته آفه تدخل
عليه من جهه الشراب وخلل تخرجه اليه الاطراب وكيف
يعدل عن الولد الحبيب المحبب بهذا العمل العلي قدره
العظيم خطره ام كيف تطيب نفس الولد ان يرى اباه صارفا
هذا العمل عنه الى سواه فان افكر ابن الملك فيما ذكرت
امكن ان تحدث له الغبطه بهذه الحظه فيكون
ما يظهره من البشر يلوي الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه
فانه اخذ نفسه من البشر بما ينبغي رفضه وانه من الطلا فيه
ما يستحب نقضه لم امن ان نم عليه ما اسره يوسم الابصار وتكهن
الافكار ❁ قال صاحب الكتاب رضي الله عنه
الرياسات تخدع الفطن الفاضر ولا تخفى على البصاير

الباصرة ؛ وكان يقال انما يبسط الرنا على السمع والبصر فاما
العقل القاهر للهوى فلا لان الرب سبحانه تخصه بتليلهمه
كثيرا من الغيوب اسمه الاهلب فينظر اليها بنوره وها انا
اضرب مثلا في الرنا المنافي للحياء فاقول لو ان دبا اسمه
الاهلب كان ياوي الى غيضة ذات اشجار مثمرة ومعه في تلك
الغيضة قردة كثيرون كان الاهلب يرى فوق
القرود على رقي الاشجار واجتناء اطايب الثمار فحداه شرهه
على ان يصيد منها قردا فيتخذه عبدا فاتى باديا متغفلا بالقردة
فصعد ساق شجرة وحاول انه لما عجز زل فسقط وتخبط
ساعة ثم قطع الحركة وتماوت وفتح فاه فتجمع القردة
اليه ويمكن ان يقسم الله سبحانه لها حظا من الافهام
والكلام كما قسم لها حظا من عجائب الالهام ولو
شاء ذلك لم يكن من اياته عجبا ولا امكن ان يكون في القردة

ذو حزم فيزجرها عن الدنوّ من الاهلب ويقول لها اني لا اظنّ انّ هذا
الدبّ متصنعاً مبطلاً فيما تظاهر به وان يكون قد نصب لك
فخّ رياءٍ ولقد دلّني على تصنّعه انّ حركاته كانت عند تخبطه
على نظامٍ واتساقٍ وذلك مقتضى صحّة الحسّ واستقامة الطبايع
وانشاء الارادة والاختيار واكّد ذلك عندي انّه فعله
مشاهدة حفلنا وعند تحديقنا اليه الابصار فهو عندي
بمنزلة المتغاشين عند دعوتي الوجد من المتظاهرين بالتنسّك
اذ دلّ انتظام حركاتهم على ريائهم وعدم حيائهم ؞ وكان يقال
المرائي اشدّ الاعداء عداوةً لمن راياها لانّه يقصد برياه ان
ينفق عنده ويحصّل اعظامه ووده ليختل اليه ويملك عليه
قلبه فاذا ظفر ممّن نفق رياؤه عنده بما يريد تصرّف في نفسه
وماله تصرّف السادة في العبيد ولهذا قيل المرائي يغتال
العقول بما يفعل ويقول وكان يقال طبع المرائي املك

به من زوايه فمتى امتحنه ذو حنكة اسرع فضحه وهتكه ؛ ثم
يقول حازم القردة لها ان كان لا بد من الدنو اليه فاجمعوا حطبا
وادبروه حوله واضربوا فيه نارا فان كان متصنعا افتضح ٥
وكان يقال عدوك ضدك وحكم الضد بين التنافر
والتدابر والتنائي والتباين ؛ وكان يقال لا تطأ ارضا
وطيها عدوك الا على بريق احتراس وتوقي افتراس فانك لا تامن
ان يكون قد نصب لك فيها اشباكا ورتب اشراكا ٥
وكان يقال لا تغش عدوك الا متسلحا متحفظا ولا تعرك
منه خلوة من السلاح فما كل سلاح يدركه البصر الا ترون
ان راهبا من ابناء حبس نفسه في قلاية بظاهر مدينة فاتاه
اهل دينه للتبرك به والرغبة في دعائه فزعم لهم ان جماعة
من الفقراء يغشونه لزيارته فتسوء خلتهم ولا يجد ما يواسيهم
به فيحملون اليه الصدقات لكونه فيما زعم اعلم بمواقعها

ويكرزها لنفسه وربما اعطى البستين منها الساق في ظلمة
ثم يزيد عليه بتحنه ولومه ٥ وكان يقال لا يزال الظالم
موضعا للرحمة حتى يتجاوز في ظلمه المتزفين الى المستضعفين
فحينئذ يقبض عنه الرحمة ويبسط عليه المقت فيقطن لذلك
الحبيس احد اللصوص فيتخذ سلما وياتي به الى القلاية ليلا فيتسورها
فيشعر به الحبيس فيبادر الى محرابه فيخر فيه ساجدا فيسرع اللص
اليه ليقبض عليه فاذا داناه انخسف به موضع قدميه
وكان هناك طابق من الخشب يدور بلولب فيسقط اللص في
مثل الحبس فيطلع عليه الراهب فيراه اسيرا كسيرا فيقول
له حصلت يا طامع فيقول اللص نعم يا خادع فيقول
الحبيس للص ويحك ما لي احسنت ان اخدع عنه قلوب ملائكة
فاقتطعه افتظن انني لا احسن ان احميه وامنعه فيقول
له اللص اني لم اظن انك تحميه بالسجود فيقول له الحبيس يا

ابله وهل كانت شباك اقتناصه واشراك انتهازه وافتراصه
الا تبجدات وربيعات واذا وعن الفرده نضج جا زمها
نحبت الاهلب وانتشرن بجمع الحطب لاحراقه فبحى قرد غر
به فيدنو منه ويصغى اليه ليرى هل حس له نفسا فيقبض الاهلب
عليه ويعقد فى وسطه عرقا من الخيزران ويكلفه ان
ان يصعد الشجر فيجنى له الثمر فيفعل ذلك نهاره كله
فاذا امسى ذهب الاهلب بالقرد الى غاره فيسجنه فيه ويسد
بابه بصخرة فلبث بذلك مدة والاهلب قد بلغ امنيته
والقرد باسوا حال نهاره فى خدمة الاهلب وليله
فى سجنه وكان يقال من تعرض لما لا يعنيه تورط فيما
يعنيه وكان يقال شهوات العاقل من وراء فكرته
فاذا انبعثت له شهوة مرت بفكرته فنظر فى مباديها
وعواقبها وتدبر فيها بحكم الراى وفكرة الاحمق

من وراء شهوته وكلّما انبعث له شهوة نفذت لوجهها ٥
وكان يقال انّما كانت المون المتحمّله للبغضاء اشدّ
من المومن المتحمله للاجباء لانّ مون الاجباء تستخدم القلوب
فيها الابدان فالابدان خادمة فيها القلوب التي بها قوامها
وليست الكلف المتحمّله للبغضاء كذلك ويمكن ان
يتدبّر الفرد حال نفسه فيعرف انّ نصيحته للدبّ في
الخدمه توجب اغتباطه به وهو سرخلاصه من رقّه فيندم
على ما قدم من نصيحته ويرجوا النجاة منه بالحيلة ۞ وكان
يقال اذا كان العبد مبتّ الشهوة نلبد الفكرة رذل
الهمّه فهو سلم لسيّده وان لم يكن بهذه الصّفات فلسيّده
فيه شركاء هي املك به من السيّد وهذا لانّه اذا
كان متحرّك الشهوة وكان منقادًا لطاعتها ساعيًا في
الراحة من النصب والخلاص من الرق واقامة الحجج والمعاذير

عند جنايته واذا كان سامي الهمة بالغضب وبالانفة والحقد
وتدبّر عما يريد هولاء عما يريد سببه فيتوجه للقرد من الحيلة
انه بين ظاهر بضعف البصر فيلقي الى الدب اخاث التمر
ويزجره عن ذلك فلا يزجر ويضربه فلا يرتدع ولا يأتمر فاذا جعل
الله تعالى للاهلب فهما صحيحا وقولا فصيحا يمكن ان
تقول له قد سيمت من تاديبك واراك لا تزداد الا اشرارا
ولقد حدثت نفسي بقتلك اذ لا منتفع لي فيك ۞ وكان
يقال اذا لم تجد من الخدمة الا من ساء ادبه فاخدم نفسك
ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك بسوء ادبه من الاذى
اضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العنا ويمكن لو
كان القرد ذا فهم وعلم ان تقول للاهلب انى ليمنعني
من النصح عن نفسي ما ارى بك من احتدام غضبك وكان يقال
العطب كل العطب من عباد المفندين عند الغضب

والسيول الداهمة في صبب والدول المقبلة في عنفوان
افناجها وعصوف رياحها ولولا ذلك لبينت انی بری
مما به اتهمتني ولو انك قتلتني لاثمت في وعدمتني ثم تندم
كما ندم الطحان حين قتل حماره ؛ وذلك ان طحانا
كان له حمار يطحن به وامه تحبها وتبغضه فارى في منامه
كان قايلا يقول له احتفر في مدار الطاحونه تجد
كنزا فحدث بذلك امنه وامرها بكتمانه وكان يقال
انتم عقل من زعم انه تحد راحة اذا شارك في سره لغير ضرورة
وهذا لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة
فيه بعض مشقة الحذر من انتشاره وكان يقال امران سلبان
الحر كمال الحرية وهما قبول البر وافشاء السر وشرح
ذلك ان من قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع
له وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشايه يلزمك

حكمة

مطلب عظيم

البقية له فبذل من اجل ذلك ۝ وكان يقال المراة مؤهلة لبث بقمه وطعام تزمه ومغزل تديره وشبق تسكنه وتثيره فمن اشركها في امره واطلعها على سره فقد التحق بعالمها اذ ليس في قواها الا التحاق بعالمه ۝ وكان يقال في مثل سائر لا تفش سرك الى امه ولا تبل على اكمه ∴
قيل فلما حدث الطحان امته بروياه اخبرت بها من تهواه فتواعدا ان يبطشا الموضع ليلا ويطرقاه ويحتفراه فوجد اما لا فقال لها كيف نصنع قالت نقتسمه بنصفين كل واحد منا بنصيبه فاذا امكنني جمعنا النصيبين فقال بل المال كله عندي لاني لا امن غدرك وحدوث الغنا بغير الاخلاق ∴ قال صاحب الكتاب عفا الله عنه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس في العالم يستنير بها وانما طابت عنه نفوس الزاهدين فيه لمقتهم العالم

الا دنی وكراهتهم للكون فیه ولهذا كان الزاهد حقّا
من زهد فی حیوته العاجلة اذ اكان لا یصح زهده فی حظوظ
نفسه الاخرة الفانیة حتی یزهد فی حیاتها الدائمة
وكان یقال الیسار مفسدة للنساء لاستیلاء شهواتهن
علی عقولهن ❀ وكان یقال لا تسمح لولدك ولا لامراتك
ولا لخادمك بما فوق الكفایة فان طاعتهم لك مقرونة
بحاجتهم الیك فقالت له الامة انی اخاف منك مثل
الذی تخاف منی ولست مسلمة الیك حظی من هذا
المال فلا تحسدنی وانصفنی مقاسمته ٥ قال صاحب
الكتاب انما صار العدل والانصاف مشكورا
علیهما لفساد الزمان لان الشكر انما یستحقه من سمح
بحق هو له فاما من اتی الحق اهله فلا یستحق شكرا وان
كان محمودا ممدوحا ∴ قیل فلما سمع مقالتها

مطلب مهم

حمله استثقال انصافها والحذر من تمنّها عليه فقتلها والقاها
فى الموضع الّذى احتفره ولم يدفنها وذهب ودخل الطّحان
فى السّحر فربط الحمار فى المدار وساقه فاعترضت امامه
الحفرة والقتيل فوقف وضربه فلم يبرح فنخسه الطّحان
بسكّين نخسات وهو يتلوّى فاشتدّ غضبه وطعنه
بها فخرجت امعاوه وهلك ولما اصبح وراى الحفرة والامه
فيها قتيله واثر السكّين ماخوذ فاشتدّ اسفه وقتل
نفسه فان وعى لاهلب هذا الحديث وما اشتمل عليه
من الاداب امكن ان يقول للقران الحمار كان معذورا
فى توقّفه عن المشى فى مداره فما عذرك انت فى اختصاصك
اياى يا خاينة الثّمر بعد ان كنت تختير بى اطايبه فيقول
عذرى ضعف بصرى وقد كان لك فيما خبرت من نصحى
لك او لا ما يصرفك عن تهمتى آخرا وانّى لا اخاف على بصرى

98

فاذن لي في التداوي فيقول الاهلب كيف لي بمداواتك
واني لك طبيب فيقول القرد ان الاطباء الكثرون
ولكن العاقل لا يستطب لا لمه من لم يكن من عالمه
وان للقرود بهذه الارض طبيبا موصوفا بحسن الفتيا
والزهد في متاع الدنيا واني لاستروح العافية
من لقايه واستروح الفرح من لقايه ثم ينطلق به الى قرد
خبيث من القرده داره من دونها فيجدانه على شجرة فيذكر
له الدب رمد عينه فيقول له دعه يصعد الى فيرخي
له الجزرانه فيصعد فيرى عينيه ويسر اليه اني ساجتال
لخلاصك بان امر الدب بالسهر ليلا واذا فعل ذلك
نعس فامكنك الفرار واحذره ان يناعس ليختبرك
فلا تفر الا اذا تحققت نومه ثم يمكن اذا كان من
اهل الفهم والقول ان تقول للاهلب ينبغي ان اعرفك

اوّ لا داء عبدك قبل ان ادلّك على دوآءِ به اذ يستحيل العلم
بالدواء من الجاهل بالداء واعلم ان الفرقدة انّما صحّت جسومها
لانّها توفّرت على السّهر دواعيها وجعلت للبلها حظّاً من
مساعيها وانّه كان نفال مواسم الغياهب مقاسم المواهب
ومطيّة اللّيل تهوي الى مظنّة النيل وكان نفال
من لزم الرقاد حرم المراد ۞ وكان نفال كثرة النوم يسلب
الاعمار ۞ وكان نفال لا يصحّ ان ينال في حدّ الجود
انّه سماحة النفس ولو صحّ ذلك لكان اجود الاجواد من
كثر نومه لانّه يسمح بحياته التي لا يجد لها كفؤاً ولا
يصيب منها عوضاً ۞ وكان نفال النوم مغموم والسّوم
مغموم والنّوم محروم ن وانك لما اخرجت عبدك
هذا عمّا اعتاد ادخلت عليه الفساد ثمّ يمكن
ان يقول وهكذا صنع بالطاير الذي اصطيد لابنه

الملك فيقول الدب اخبرني كيف كان ذلك فيقول له
ذكر ان ملكا كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت
بها المرة السوداء افضى بها في فنون من العلل وبلغ بها الامر
الى الامتناع من الغذاء والدواء فاشار طبيبها بان تنقل
من ذلك المسكن الى مسكن تشرف فيه على بستان
ففعل ذلك بها فرات من ذلك المسكن طايرا في
ريشه من كل الالوان العجيبة قد نزل على دالية ياكل
من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع من النغم بتطريبه
فهشت الجارية لذلك واستدعت الغذاء فطعمت
قليل ثم ان ذلك الطاير اسرع الذهاب ولم يعد يومه
فظهر على ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان من الغد
عاود الطاير الدالية على مثل وقته بالامس فبشرت ابنة
الملك بعوده فنظرت اليه وهشت له وعاود تغريده

فانها تحف واستدعت الغذاء وطعمت ثم ذهب الطاير
في يومه كذهابه في امسه فعاودها القلق لغيبته
وذهب بشرها وارتياحها فلبثت بذلك اياما ونمى الخبر
الى ابيها فامر باصطياد الطاير فاصطيد واتخذ له قفص
فجعل فيه وقرب من ابنة الملك فاشتد سرورها واغتذت
وتداوت ورأى الطبيب في ماءها انتعاش قواها فسر بذلك
ولا علم له بامرها في الطاير ثم ان ذلك الطاير لبث عندها
اياما لا يغرد ولا يطعم واخذ حسنه في التغير والاضمحلال
فعادت الجارية الى اسوا حال وجعلت تدوب ذوبانا
لاهتمامها بالطاير مضافا الى مرضها وعلم بذلك ابوها
فندم على اصطياد الطاير وكان يقال لا تكن تلميذا لمن
يبادر بالاجابة عن المسايل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما
ينفرع منها ويعد الاجوبة النافعة لما يمكن ان يعترض

به على قوله ويلزمه من المناقضة لاصوله كما لا ينبغي ان
يستشير الغمر الذي لا يتجاوز مبادي الآراء الى عواقبها
قيل فلما علم الطبيب ما صارت اليه الجارية ظن ان ذلك
لطاري طرى عليها فبحث عن ذلك فوقف على حقيقة
الامر فيه فاشار على الملك بنصب شباك محيطة على البستان
علوا وسفلا ففعل ذلك على ما اشاره ثم اطلق الطاير في
البستان فسرح فيه ولما رجع الطاير الى ما اعتاده والفه
راجعته صحته ونضرته وعاد الى تغريده فصلحت بذلك
حال الجارية ودب فيها البرء الى ان شفيت فاذا اوعى الاهلب
الحدث امكن ان يقول للفرد قد وعيت حكمك فامرني
بما فيه مصلحته عندي اطع امرك فيقول له الفرد
اني امرك بان تتاخر في مطافك صدرا من الليل قبل انصرافك
فان فيه زيادة عمرك وطعمك وبهجة لنشاطك وبابكا

للذة فی منامك وشفا البصر لامك فتشكره الاهلب علی
ما نصح وشرح ويأتی بعده المسرح فاذا جا الليل اظهر
العبد فرحا ومرحا وجنی فی اضعف ما جناه ثمرات طيبات
ولبث بذلك مدة بينظاهر فنهاها بقوة البصر وجنی من اطايب
الثمر واذا جن عليه الليل اكثر من اجتناء طيب الثمرات
لاسيما فی الليالی المقمرات والاهلب فی ذلك كله يظن
به الريا والتكر والخدع والمكر فتناوم ليلة ليختبر
وجعل يغط فما اعتم الفرد ان وثب فنزل وجذبه الدب
بالخرزانة فاخرل :. قال صاحب الكتاب
عفا الله عنه قد حصل ما ابتغيت من هذا المرام وكان ان
انكفی الی ما بلغنی من حديث بهرام مضربا عن صيغ الالفاظ
الماثور وما بنها ومؤديا للامانة فی المحافظة علی حقايق معانيها
الا انی اختصر الحديث الذی نسبه النقلة الی مضحك

يزدجرد لان ما في المثل الذي ذكره عنه كلمات تجاوز فيها
حدود الاحماض فحفظتها في نفي وضم اغماض قيل
ما معناه فلما سمع بهرام مقالة جلس اولاها فقبوله واقبل له
والزم بها بابه وقال له ما معناه ما ابهجني بأقرابك وابهجني
بآدابك واقسم لئن دالت لي دولة هذا الملك المعان
لاجعلك شاعرا دون الشعار فدعا له جلس بصلاح العمل
وانجاح الامل ثم ان يزدجرد حضر مجلسا من مجالس زياراته
في فصل الربيع وقد نضد النوار في المجلس وكان كالتيجان
المرصعة والزرابي المخملة واتى بهرام وقد كاملت مسرة
ابيه فاشرف على المجلس فاجال بصره في وجوه من حضره وهو قائم
على بابه مقتضى ما كلف من الحياطة فاعجبه منظر ذلك
الزهر وتذكر ابائه عند التنعم وانجاعه الرياض
الا ينفه المنظر المطلوله الزهر الى ما كان ينعم به من مباركه

الوحوش في معانيها ومرادها والتلذذ بطراها واصطيادها
فاطرق وعبس وتنفس الصعداء وابو نا ظر اليه وذهب
فقبض الملك مبسوط بشره واطرق فنهض من كان يحضره
من خاصته قياما خاشعين وتلك سنة كانت الملوك الفرس
اذا عبس الملك وثب من كان يحضره الى ما يلي الباب فقاموا
خاشعين وكان لبزرجمهر فيما زعموا امضحك طريف
اللسان جيد البديهة لطيف يحضر ذلك المقام
ورأى ما كان من بهرام وحدث نفسه باختراع مضحكة
يصرف بها غضب الملك عن ولده وبينا هو يناجي نفسه
بذلك رفع الملك راسه فنظر اليه نظرا فهم
منه انه يستدعي كلامه فسجد له ثم قال ان اذن
الملك لعبده حدثه بعجيبة اتفقت له في زمان حداثة
سنه فاذن له فقال ان العبد كان في شرخ شبابه

شديد الميل الى النساء سريع الملل لهن قال صاحب
الكتاب عفا الله عنه كان يقال من اتبع لحظه هواه
ادحضه واهواه ❀ وكان يقال كن من عينك على حذر
فرب جموح جنى حره طموح عين ❀ وحكى ان رجلا
راى وهو محرم بالحج ومعه فى المحمل جارية حسناء
قد شد على عينها عصابة فقيل له فى ذلك فقال
ما معناه ان عينها هى التى تجلب هواها لا غير سواها ❀ وكان يقال
الملل والسآمة من اخلاق السامة ❀ وكان يقال التنقل
من خلة كالتحول من ملة الى ملة ❀ قيل ثم قال
المضحك وان العبد دخل بلاد السند فراى يوما جارية
لم ير قبلها مثلها فى حسن الصورة وامتداد القامة وتناسب
الاعضاء ورشاقة الحركات ولباقة الاشارات فتبعها
العبد الى منزلها ولازم بابها ليلا ونهارا فارسلت اليه

مطلب نفيس

نستعفيه من لزوم بابها وتخذه سطوة اوليا يها فشكا
الى رسولها وجده بها واعلمه انه مستميت في طلبها وباذل
لها جميع ما يملكه صداقا فلهيت عنه اياما ثم اعادت
اليه الرسول يذكر انها نطن به الملل وانها متزوجته
على شرط ان لا يملها ولا ينحرف عنها الى غيرها وانه متى فعل
ذلك نكلت به تنكيلا يضرب به المثل فان كان يعرف
من نفسه مللا فليمتنع منها قبل ان يتعذر عليه النجاة ؛ قال
صاحب الكتاب عفا الله عنه كان يقال اربعة ترفع
عنهم الرحمة اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما
يصف له من دائه ومن اقدم على ما حذر من لقائه ؛ وكان
يقال من بصرك فقد نصرك ومن وعظك فقد ايقظك
ومن اوضح لك وبين فقد نصحك وزين ومن اعذر وبصر
عذر ولا قصر ؛ قال المضحك فالزم العبد

103

الشرط واعطى من نفسه المواثيق على الوفا وتزوج الجارية
فقل ما لبث معها ان زار نهار بن لها فاعجبته فتبعها الى
منزلها وارسل اليها يخطبها فشكته الى زوجته فعاتبته
واذكرته الشرط والعهد فازداد لجاجا فسحرته زوجته
فصار اسود اللون مشوه الخلق وجعلت تستخدمه في كل مهنة
فما شغله ما نزل به من البلاء عن ان هوى امة سوداء فجعل
يتبعها فشكته الى زوجته فسحرته فصار حمارا قال
صاحب الكتاب عفا الله عنه وكان يقال اضل المود من سعيا
من رام من تلبيسه ان تعاونه على نفي خلق من اخلاقه التي طبع عليها
وكيف وانى وطباعه اولى به واقرب اليه واثر عنده ولكن
المودب الماهر من طالب المناديب بستر المذموم من طباعه
فيوزى عنها ويتعمى عليها ان قال المضحك فكانت زوجته
باجرم ممن يحمل عليه فما شغله البلاء الذى نزل به عن ان هوى

اتانا فكان اذا رآها نهق وعدا اليها واتفق ان امراته زارت
بنت ملك تلك المدينه وكان معها في عليه لها والعبد
قد استاجره شيخ لبيع السمن فحمل عليه فخا ناً في جوالقين
فمر به على دار بنت الملك فراى العبد تلك الاتان التي يهواها
فعدل نحوها وجعل الفخار يتساقط عنه والشيخ يستغيث
بالناس وراات ابنة الملك ذلك فاضحكها فقالت لها
امراة العبد الا احدثك بعجب قالت بلى قالت ان هذا
الحمار من قصته كيت وكيت فسالتها ان تبطل السحر
عن العبد وتخلي سبيله ففعلت وعاد العبد بشرا سويا
ولم يكن له هم الا الفرار من بلاد السند ثم امسك
المضحك عن القول وقد كان الملك استهواه الضحك
لما سمعه وابصره من حركات المضحك في حال الحكايه
واختلاف لغته فلما عاود الملك وقاره وراجعته ابهته

اقبل على المضحك وقد اكفهر فقال له ما دعاك الى
ان تكذب بحضرتي هذه الكذبة الشنعاء قال
صاحب الكتاب عفا الله عنه كان يقال الكذب
كالسهام القاتلة على انفرادها الا انها قد تدخل في الادويه
المركبة فلا يصلح للملك ان يبيح الكذب الا للثقات الذين
يستعملونه في كيد الاعداء وتالف البعداء كما لا يصلح
ان يملك تلك السموم الا الصالحون من الصياد له المامونون
عليها من تمكين البغاة المفسدين منها قيل فقال المضحك
ما معناه ايها الملك ان هذا مثل اضربه لا اجلب به سرورا
لا لاكسب به غرورا وا الباعث لي على ذكره سر من الاسرار التي
يلزمني سترها عن غير الملك فاشار يزدجرد الى الحاضرين فخرجوا
ثم قال للمضحك هات ما عندك فقال ان العبد
يخبر مولاه الملك ان بهرام عاشق قال الملك من عشق قال

ابنةُ الملكُ لقدكان الاصبهبذ يعني حافظ الجيوش وهو

اميرا الامراء فقال الملك لقدكان من بهرام في ليلتنا هذه

ما يدلُ على صدقك وان ولدنا غرُ واضع من نفسه بمحبته

لابنة حافظ جيوشنا وسيد اوليائنا وسيبلغ ولدنا امنيته

ويحسن اليك لاطلاعك لنا على ما خفي علينا فاكتم ما سمعته

وعلمته حتى سنفذ فيه امرنا ثم اذن الملك لجلسائه بالعود

فعادوا الى مراتبهم من تذكرمته حتى قضى وطره من مجلسه

وصرفهم مسرورين محبورين وقصد المضحك بهرام فحدثه

بما كان منه الى الملك وما قاله الملكُ فشكر له ثم

انكح الملكُ بهرام ابنة الاصبهبذ واخذ بهرام نفسه بالرضا

بحاله الى ان قدم على يزدجرد ليقيصر رسول راغبا في الهدنه

والموادعه فعرف له يزدجرد فضيلته وبالغ في تكرمته

فاستشفع به بهرام الى ابيه في ان يرده الى النعمن فكان

105

عنده فما شاء الى ان هلك ابوه فورثه ملكه

وهذه خاتمة سلوانة الرضا

ومن كمال بهجتها الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث

رعيته بعده وكيفية مضي الملك الى ولده بهرام ❊ زعموا

ان يزدجرد لما كثر عسفه وعدل عما انهجه سلفه من

العدل والرافة بالرعية اجتمع صالحون من رعيته هكذى

قيل والاولى ان يقال اجتمع مظلومون من رعيته

فدعوا الله عز وجل ان يريحهم منه فاستجاب لهم ودخل

حاجبه يوما عليه فاخبره ان فرسا متوحشا عريا قد جمع

محاسن صفات الخيل جاء يشتد عدوا حتى قام بباب

الملك ونهيبه الناس فلم يجسر احدا على الدنو منه فاستخف

يزدجرد ما سمع ونهض فخرج الى الفرس فراى منظرا

عجيبا ودنا منه فخشع له الفرس فخامره الاعجاب بنفسه

فمسح وجهه وامسك بناصيته وامر باسراجه والجامه فيقال
انه استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه رمحة خر منها
ميتا ويقال بل ركبه وحركه فسبق الابصار عدوا
حتى اتى بحرا فاقتحمه به فكان ذلك اخر ما علم من خبره
ولما اراح الله الفرس منه اجمعوا ان يخرجوا الملك عن ولده
فملكوا عليهم رجلا من ابناء ملوكهم السالفة كان
مرضيا عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد من المظالم واحمدوا اراءهم
فى تمليكه وانتهى ذلك الى النعمن فاطلع عليه بهرام
واخبره انه عضده وباذل نفسه وماله فى مرضاته فامره بشن
الغارات على اطراف بلاد الفرس مع الكف عن الدما
فاوعز النعمن الى الاعراب فى ذلك ففعلوه واشتد
على الفرس اذاهم فارسلوا الى النعمن يستعفونه ويسئلونه
العود الى احسان المجاورة فلما انتهت اليه رسلهم قال

106

لهم انما انا تبع للملك بهرام وهو الذى امر العرب بما فعلوه ولولا رافته بكم لكان الامر عظيما ثم امرهم فقصدوا بهرام فقصدوه فلما عاينوه ملا اعينهم ابهة وجمالا وشحن صدورهم هيبة وجلالا فخروا اليه ساجدين وسالوه العفو والصفح فاجمل خطابهم وبسط امالهم وامرهم ان يبلغوا من وراهم جميل رايه فى الخاصة والعامة وانه متوجه اليهم ليتولى اخبارهم عن نفسه واقامة الحجة عليهم ثم صرفهم مكرمين وامر النعمن فكتب الى عشر كتايب من كتايب العرب كل كتيبة الف رجل من انجاد العرب ثم سار بهرام فيهم وسار النعمن يقدمه فى جيش كثيف ولم تستطع الفرس دفعا لهم حتى حلوا بظاهر جندى سابور وهى اذ ذاك دار الملك فخرج اليه موبذان موبد فى زعما دينهم ودخلوا على بهرام وهو جالس على كرسى والنعمن قايم بين يديه فسجدوا له وقاموا

لذبيه واستاذنوا الموبذان في الكلام فاذن له فحمد الرب
سبحانه وشكر نعمه عنده وذكر احسانه الى خلقه
ورافته بهم وكراهته للظلم وما كان من جور يزدجرد وفعل
الرب سبحانه به واتبع ذلك بذكر كراهية الفرس
لتمليكه وحذرهم من ان يتخذوا احدا من ولد ابيه لا سيما وقد
نشا من الاعراب الذين يصلحون جسومهم بخراب الارض فانه جدير
ان يتخلق باخلاقهم وساله ان يعفي الفرس من طلب الملك
عليهم على ان يجعلوا الله حراسة عليهم يفعلون ذلك
ركونا الى العافية اذ كانوا لا يجيبونه الى ما اراد طايعين ولا
يقصرون في دفعه عنهم جهدهم فلما قضى كلامهم تكلم بهرام
فحمد الرب سبحانه وشكر نعمه عنده وصدق موبذان
موبذ فيما نسب الى والده من الجور والعسف ثم اتبع ذلك
بذكر ما كان تمنى من مصير الملك اليه لينزل رسوم

الجور وتشييد معالم العدل وبذيق الرعية من حلاوة رافته
واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من مرارة غلظته واساءته ثم
اعلمهم انه لا يبرك تراث ابيه ولا يالو جهدا في طلبه
وانه مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته
بين يدي اسدين ضاريين ويحضر هو والمتغلب على ملك ابيه
فمن اخذ منهما التاج والزينة من بين الاسدين فهو بالملك اولى
وذكر انه انما فعل ذلك رافة برعيته وصونا لهم عن الحرب
وثقة بنصر الرب وعونه لما يعلمه من حسن نيته ورغبته في
اصلاح الارض واهلها فرضي القوم بما بذل من نفسه وخرجوا عنه
متعجبين من جماله وكماله وابهته وفصاحته ورجوا اليه
الراحة منه بما بذل من غير مشقة تنالهم في دفعه ثم عمدوا
الى اسدين ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر المدينة
في قفص حديد وفي عنق كل واحد منهما سلسلة طوقها

من الحديد وضربوا الوتدين في جهتين مختلفتين وجعلوا
بينهما بقدر ما اذا اخرج كل واحد من الاسدين فقصد
الاخر بلغ اليه وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما بحيث
يمكن كل واحد من الاسدين الانتها اليها وفتحوا القفصين
عن الاسدين فخرجا واحتشد الفرس وقام العرب بازايهم
وخرج بهرام من قبته وقد وشد وسطه بمنطقة وجمع
ذيوله اليها فقام بازا الاسدين ونادى اخرج ايها المتوثب لتجد
تاج الملك الذي اغتصبته فاجابه المتوثب انت اولى بالتقدم
الى ما اعطيت من نفسك من بعد ما ثم انك تطلب الملك
بوراثة وقربة وانا لم اطلبه ولكن عرض علي فقبلته فدنا
بهرام من الاسدين ولا سلاح معه فناداه موبذان موبذ لا
اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انما جعلت ذلك لكم
لئلا فني بكم ولا بد لي من فعله قال فنوء الى الرب الاعظم

بذنوبك وثب عليه ان كنت لابد فاعلا فذكر بهرام ذنوبه
وتاب الى الرب سبحانه منها وساله العون ثم دنا من احد
فلما قاربه زاغ عنه بهرام زوغة ثم وثب فاستقر على ظهر
الاسد وضمه بفخذيه ضمة شديدة فجعل الاسد يلهث وقصده
الاسد الاخر فلما انتهى اليه قبض بهرام على اذنيه فجعل
يضرب براسه راس الاسد الذى تحته حتى سقطا هالكين
فقام بهرام فحمد الله على صونه وعونه وازال ذيوله من
منطقه وتناول التاج فوضعه على راسه فناداه المتملك
ليهن بهرام الملك بن الملك ما قضى الرب العظيم له من
ميراث سلفه فكلنا له مطيع ثم ارتفعت اصوات
الفرس بالدعاء واتاه موبذان موبد فزينه بزينة الملك وبايع له
بالطاعة وتابع زعماء الفرس على ذلك وركب فدخل
المدينة ونزل بقصر ابيه ففرق بيوت امواله فى ذوى الحاجة واهل

الاسدين

لمجده وحبا النعمن وتوجه وسوره واعطى العرب الذين

صبحوا الجوائز على اقدارهم وفى لدن غيبته مواعيد عدله

ورأفته ولم يزل فيهم محمودا حتى هلك وقد دون الفرس اخبارا

عجيبة اودعت منها خبر بن نادر بن كتابى المسمى انباء نجباء الابناء

وبعد فلله الحمد بما هو اهله ٥

السلوانة الخامسة وهى سلوانة الزهد

قال الله ربنا تقدس اسمه مخاطبا اعدل من استخلفه في

ارضيه وافضل من كلفه ما يرتضيه الذي كان عاضده فيما

بين كفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه ولا تمدن عينيك

الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه هذا

بعد ان خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار فقر الملك

على غنى الملك ٥

اوحى اليه ما شرحه خيرت فاختر يا نبي الهدى

لعله ما غدا شرحه

نبوة في حال عبدية تحوي بها الفتح المعلى غدا ۞

او حال تمليك يخر الورى بين يدي سلطانه سجدا ۞

فاختار عقباه على يومه لله ما اهدى وما اسعدا ۞

روى لنا من حديث عمر الفاروق رضي الله عنه انه قال
خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى حايطا من حوايط
الانصار فدخله وجعل يلتقط التمر فياكله ثم قال
الا تاكل يا عمر فقلت يا رسول الله اني لا اشتهيه
فقال لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة مذ لم اذق طعاما
ولو شئت لدعوت ربي فاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف
بك يا عمر اذا بقيت في قوم يجاوز احدهم رزق سنته ويضعف
يقينه ۝ روى لنا من حديث ابن مسعود انه قال بينما رجل
في موكبه اذ تذكر فعلم ان ما هو فيه منقطع وانه قد
شغله عن عبادة الله عز وجل فانساب من قصره ليلا وصار

الى مملكة غيره وراى ساحل البحر فجعل يضرب اللبن ويغتذى
من ذلك فبلغ الملك الذى هو فى مملكته عبادته فركب
اليه فساله عن حاله فقال انا فلان صاحب ملك كذا
علمت ان ما كنت فيه منقطع وانه قد شغلنى عن عبادة ربى
فقال ما انت باحق منى بما صنعت ثم خلى سبيل ملكه وتبعه
فكانا يعبدان الله عز وجل وسالاه ان يميتهما معا فماتا
معا ٥ قال ابن مسعود فلو كنت بنيل مصر لاريتكم
قبرهما بالنعت الذى نعتهما لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبر يروى فى مثل ذلك
مما روى لنا من حديث الحسن البصرى رحمه الله انه قال
لما بويع لامير المومنين عثمن رضى الله عنه اشتد على امير المومنين
على بن ابى طالب رضوان الله عليه ان صرفت عنه فاتاه عمار
بن ياسر فقال له الحمد لله الذى صرفها عنك ولم يبتلك

بها انشدك الله يا با الحسن ان يسوك ذلك واستمع حديثا
حدثناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان في بني اسرايل ثلثه من العباد هم اعبد بني اسرايل
وكان لهم ملك فانطلق ذلك الملك يطلبهم فسار في الارض
يسل عنهم فوجدهم على راس جبل وحولهم السباع فلما دنا
الملك من السباع همت به فقال اللهم رب هذه العصابه
التي تعبدك اسلك ان تصرف عني هذه السباع حتى انظر
الى عجايب امرك فصرفها الله عز وجل عنه فصعد الجبل واقام مع
العباد يصلي في الجبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجلسوا ذات يوم فقالوا تمنوا فقال احدهم اللهم ارزقني
من الصلاة والصيام ما يبلغني به الدرجات العلى في الجنة
واسلك ان تشهي الي ذلك كما تشهي الى الما حتى لا
اذكر ما بين يدي ولا ما خلفي فرقا منك الى ان امضي على

ذلك ٥ فقال الآخر اللهم اذهب عني شهوات
الدنيا وزينتها والاهتمام بها لكيلا ازداد حزنا على
حزني وهما على همي وفرغني لك حتى اعبدك حق عبادتك
وقال الثالث اللهم ارزقني من عندك يقينا واجعلني
ملكا على الناس اقضي بينهم بالحق فاصيب به اجر الشين
ثم قالوا للملك نحن اتيناك وقد حفظ قولهم فقال اللهم
اني اسالك ان تقضي اليك مسلما من البلاء وان تجعل في ذلك
راحتي وهبط من الجبل فاتى منزله فدعا الناس واوصى وصيته
وكتب لهم بها كتابا اني استخلفت عليكم افضل
اهل الارض فلانا العابد احد النفر الثلثة الذين على
الجبل في موضع كذا فرضوا بذلك ومات فانطلقوا
الى ذلك فقالوا اهلم فان ملكنا عهد اليك وتوفي
فبهت عند ذلك وقال لا حاجة لي في ان اكون ملكا

فلم يزل ابوه حتى هبط معهم فكان عليهم ملكا شهرا فدعا ربه فقال
رب ارني عملي مصورا فاراه عمله مصورا فاذا هو قد نقص
من عمله الثلث فندم على ذلك واسترجع وغشي على نفسه
الهلكة ثم صبر شهرا آخر فدعا ربه ان يريه عمله مصورا
فاذا هو قد نقص النصف فندم وجعل يضرب وجهه وراسه
وصدره ويبكي على نفسه ثم انطلق هاربا حتى لحق باصحابه فمكث
معهم ورجع الى عمله الاول وانطلق القوم يتبعونه
فوجدوه على الحديد فقالوا له ارجع ولا تفرق جماعتنا
بعد ان جمعنا الله على يديك فقال ان شئتم فاضربوا عنقي
وان شئتم فارجعوا فلما راوا ذلك رجعوا وتركوه وملكوا
عليهم غيره ورد الله عز وجل عليه عمله كما كان وتاب
عليه مما كان عمل ن ثم قال عمار وانك يا ابا الحسن
على خير ولعل الله انما صرفها عنك لما هو خير لك فحمد

على ربّه سبحانه واطمانّت نفسه وفرح بما حدثته عمّار
بن ياسر قال صاحب الكتاب عفا الله عنه فذ رويناه
احاديث منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم
في فضيلة الامام العادل ورفع درجاته ومضاعفة اجور
اعماله منها حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلّم قال احبّ العباد الى الله تعالى واقربهم مجلسا
منه يوم القيمة امام عادل وحديث عبد الله بن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال عدل ساعة خير من عبادة
سنة ؞ وحديث ابن عبّاس انّ رسول الله صلى الله
عليه وسلّم قال والّذي نفسي بيده انّ الامام العادل
لترفع له في كلّ يوم مثل عمل رعيّته وصلاة تعدل تسعين
الف صلاة ؞ وحديث انس انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
قال ما من احد افضل عند الله عزّ وجلّ من امام ان قال

صدق وان حكم عدل فى احاديث كثيرة وحديث عمار
المذكور آنفا لا يعارض هذه الاحاديث ولا ينافضها
لان ذلك العابد سال الله الملك فنزل عن درجة الرضا
بما قسم الله عز وجل له من العبادة وقام مقام الافترا ح
فوكله الله سبحانه فيما افترحه الى عمله ولم يعنه
على بلوغ امله ودليل هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لا
تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت
عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وبهذا يفسر حديث
الصدائى اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبعثنى
على قومى فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى ولا خير فى الامارة
لمومن سألها ٥ **فصل** ان الباعث على الزهد
فى زينة الدنيا ورفعتها هو ادخال الاهتمام بامور الآخرة على
القلب بالتفكر فيها وذلك يقتضى العمل للآخرة لان من اهتم

حكمة

بأمر عمل له فاذا اهتم بامور الاخرة وعمل لها صارت امور
الدنيا منغصة عليه حاله ومضرة به فيمقتها لذلك واذا
مقتها اخرجها من يده ومن قلبه وحينيذ يجد لمعاملة الله
سبحانه لذة وحلاوة في روي لنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنياهم بخمس
مائة عام فالسابقون الى الجنة باربعين خريفا والله اعلم هم
الذين دخل عليهم الفقر من غير ان يدخلوه على انفسهم باخراج
شيء كان في ايديهم لكونهم رضوا الفقر احبوه ومقتوا
ما صرف عنهم من الغنى واما السابقون بخمس مائة عام فهم
والله اعلم الذين ادخلوا الفقر على انفسهم بعد ان كان الغنى
وصفا لهم لانهم تلوا كتاب ربهم سبحانه حق تلاوته وتيقنوا
ان ما عندهم ينفد وما عند الله باق فراوا الغنى الذي
الزمه الله سبحانه حكم الفنا كانه لم يكن فنبذوه ولا

شك فى ان الذين نبذوا ملك الدنيا بعد ان حصل فى ايديهم طلبا
لملك الاخرة ارفع هذه الطبقة منزلة لانهم زهدوا فى كل
زينة الدنيا ورفعتها لا فى البعض ومع هذا فان فوق
مقامهم من الزهد مقامين الاول منها زهد من اخرج
الدنيا من قلبه ولم يخرجه من يده فجاهد نفسه عظيمه ومثله كمثل
من الزم نفسه الظما وهو يملك نهرا يخوضه وهذا المقام
اظنه وهو مقام المومنين الذين يدهم الله بروح منه وكشف
عن بصايرهم فعلموا ان ملك الدنيا ظل زايل والنعم بلذتها سم
قاتل فانزلوا انفسهم منها منزلة المريض الذى يحمى نفسه من الشهوات
رجاء الصحة والسلامة من الادواء ومن هذا المقام يرقى
الى درجة الصديقين كما جاء فى بعض القصص ان يوسف
الصديق عليه السلم كان يجوع فى سنى الجدب حتى قيل له انجوع
وانت على خزاين مصر فيقول نعم مخافة ان اشبع فانسى الجياع

من اعلم الناس قال الكل كلهم علما ملوك الزهد في الدنيا وترك التنعم

وقد قام بهذا المقام الكريم امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فانه في عام الرمادة منع نفسه الدسم وقال لا اكل
دسما حتى يصيبه المسلمون جميعا وهذا شان الهمم العاليه الاعراض
عن الزخرف الحايل والاقبال على ما هو باق ، كان عمر بن عبد
العزيز رحمه الله حتى خطب في يوم جمعة فقومت ثيابه التي
كانت عليه وهو على المنبر فلم يبلغ ثمنها ثلثه دراهم ، ولما حج
سليمن بن عبد الملك وهو الذي عهد الى عمر بن عبد العزيز
بالخلافه وقف بعرفات ومعه عمر فرعدت رعدة من رعد تهامه
وهو شديد جدا فغشي على سليمن فقال عمر يا امير المومنين
ان هذا صوت الرحمه فكيف بك عند صوت العذاب فوجم لها
سليمن ثم انه قال الا ترى يا عمر الى كثرة الناس فقال
عمر انهم بعض خصمايك يا امير المومنين فاشتد بكا سليمن ○
وقال له يوما وقد اعجبه ملكه يا عمر كيف ترى ما نحن

فيه فقال هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عدم
وملك لولا انه هلك وفرح لولم يعقبه ترح ولذات لولم
تعترها آفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمن حتى اخضلت
بدموعه لحيته ٥ قال صاحب الكتاب عفا الله عنه

دنياك دار غرور ومتعة مستعار
ودار كيس وكسب ومغنم وتجارة
وراس مالك نفس تخف عليها الحسارة
ولا تبعها باكل وطيب عرف وشارة
فان ملك سليمن لا يفي بشرارة

وله ايضا ٥

يا متعبا كده السعي في الفضول وكاده
لو حزت ما حاز سابور فارس وافاده
ما كنت الا معنى ومغرما بالزيادة

لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهاده

فرضت على الزهد نفسنا فانما الخير عاده

وهذا حين الشروع فيما يليق بالكتاب وهو الزهد في الملك

مع التبذل له

روضة رايقة ورياضة فايقة

روى لنا من حديث نافع عن عبد الله بن عمر انه قال كان

فيما سلف ملك داره الناس فلما اعجب بملكه قال

لوزرايه وقهارمته ابنوا لي دارا لا يكون فيها عيب ففعلوا

ثم قال اتخذوا لي فيها طعاما لا يكون فيه عيب ففعلوا

وامر فدعى الناس الى طعامه في داره واقعد بالباب رجلين امرهما

ان يسالا كل من خرج من الدار هل راى فيها عيبا او في الطعام

عيبا فمر بهما رجلان عليهما ثياب من الشعر فسالاهما

فقالا نعم راينا في الدار عيبين فنحن قالا وما هما قالا رايناها

115

دار التجرب وتموت صاحبها فاطلعا الملك على ما قال الرجال

فاحضرهما وسالهما فذكر الله ذلك فاطرق الملك ساعة

وسالهما فقال هل تعرفان دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها

قالا نعم قال واين هي قالا دار الله ربنا وربك وهي الجنة

ثم شرع اله الذين فوقع في قلبه انه الحق فقال اقيما على هذه

الليله فان فمن جعلتكما وزيرين لا اعصيكما وان

خرجت بيعتكما على امركما فقالا نعم فدخل على ابنة له

وكانت عاقلة من النساء فاخبرهما فقالت له يا ابه تنجي

نفسك وتتركني اهلك فمن هلك فقال انت عورة فقالت

اني اكف شخصي فلا يعلم اذكر انا ام انثى قال فلحتشمي ففعلت

وخرجت لبلا مع ابيها الى الرجلين فقال لهما سيروا ابنا

فقالا لامرها هذا معك فقال ولدي فساروا حتى قطعوا المدينه

وخرجوا منها ثم ساروا حتى جازوا ملك كذلك الملك ثم ساروا

حتى بلغوا الى دير فقال له هذا موضعنا الذى نتعبد فيه
فانزل معنا فنزل وكان يسأل كل من لقى عن الدير واهله
ثم انه تجهز للخروج عنهما فقالا له ما شانك هل اذاك احد
من الناس قال لا ولكن اراكم تذكرون موتى لما كنت
فيه فاريد ان اتى موضعا لا اعرف فيه فاكون فى عمار الناس
فتركاه ومضى وقال سأراكم ان شاء الله ثم اتى ديرا
عظيما كثير الاهل فيه مساكن كثيرة عامرة وغير
عامرة فقال هل من منزل فقيل له ادخل فاختر لنفسك
فدخل الى منازل فارغة فاختار منها مسكنا وكان الناس
يعمرون الارض وكان لاهل ذلك الدير مزرعة وعلى كل
رجل من سكان الدير ان يحرس تلك المزرعة سنة فبلغت
النوبة الشيخ فقيل له فى ذلك فقال انى مريض شديد العلة
فقالت له ابنته يا ابه انا اقوم بذلك عنك فقال يا بنية

116

انى اخاف ان تفهم امرك فقالت قد سلم الله الى هذه الغاية
وارجو ان تتم السلامة قال فدونك فخرجت الى المزرعة
وهي مستترة فما كانت ترى الا قايمة تصلي او في امر هي به مغتبطة
وكان من ورايهم دير صغير ينسب الى رجل معروف
وكان له ابنة فجاءت تلك الابنة فاتصلت بها وهي ترى
انها غلام فجعلت تتشوق لها وتعرض عليها نفسها وجعلت
تلك تتعصم من شرها فلما رات الجارية انها لا تفعل
قالت والله لاهلكنك ولاهلكن اباك وذهبت فامكنت
من نفسها رجلا فحملت فلما عظم بطنها قال لها ابوها ما هذا
فقالت وثقت بابن الشيخ لما رايت من عبادته واجتهاده فنمت
عنده فكان هذا منه فجا ابوها واهل ديره فدخلوا الدير الكبير
واخبروا من فيه وقالوا لا ينبغي ان ياوي هذا اليكم ثم اجتمعوا
على الشيخ وهموا به وكلموه مما ارادوا فما اعتذر اليهم

من شيء وكان لما به فتنوفى مكانه فلم يأخذوا فى جهازه فقال
علماء الدير لا ذنب للشيخ فاغسلوه وكفنوه وصلوا
عليه وادفنوه واطردوا ابنته فلا يدخل دير كم ولا يأوى اليكم
ففعلوه فقالت لهم دعونى ابنى بيتا فى الصحراء احرس نفسى من
السباع والسارق فقالوا ان الصحرا الواسعة فابنى ما شئت
فبنت بيتا واتخذت له بابا وكانت فيه تعبد الله وتزور قبر ابيها
حتى اذا كان ليلة من الليالى مر بعض اهل الدير بذلك البيت
فاذا بابه مفتوح فقام فى الباب فنادى يا فتى فاجابه بصوت
ضعيف قال احسبك مريضا قالت نعم قال فهل لك من حاجة
قالت نعم قال ما هى قالت تقبل وصيتى قال قل قالت فتلبست
افضل ما اقدر عليه وحفرت الى جانب قبر ابى قبرا فاذا انا مت
فلا تكشفوا عنى ثوبى واغسلونى فيه وادفنونى فيه الى
جانب قبر ابى فقال لها يا فتى ما اسهل ما سالت ثم اصبحوا

فاذا قائل يقول مات ابن الشيخ فقال الرجل الذي اوصت اليه
انه اوصى الي وصية واخبرهم الخبر فقال علماء الدير لا نغير
سنتنا لوصية رجل ابعثوا اليه من نغسله مجردا ونكفنه
في ثيابه وندفنه فيها بحيث اوصى ولما جاء الرجال فكشفوا عنها
ليغسلوها اذا امرأة فغطوها بثيابها وتنادوا في الدير فقالوا
الذي طرد دعوه انما هي امرأة وبعثوا الى صاحب الدير الصغير
فجاء ومعه جماعة من اهل ديره فقالوا هذا الذي قلت فيه
ما قلت امرأة وحشروا عليها وامروا النساء بغسلها وتجهيزها
ودفنوها الى جانب قبر ابيها قال عبد الله بن عمر فلقد
كان اهل تلك الناحية اذا قحطوا جاءوا الى قبريهما واستسقوا
الله عز وجل واستشفعوا بهما فيسقون ... وبعد فقد زهد
في الامر جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم فمنهم من امتنع من قبولها ومنهم من رفضها بعد حصولها والاعتناء

بروايه اخبارهم في هذا الكتاب يخرج عن سوبته ولا يندرج
في اساليبه ولولا ذلك لاحببت ان اثرها فاروى جملتها او
اكثرها وها انا اذكر منها حديث عمير بن السعيد الانصاري
وهو ما روى لنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمله على
حمص فلبث بها سنة فكتب اليه انا بعثناك على عمل من الاعمال
لا ندري ما صنعت فيه فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الينا
ما اجتمع عندك من مال الله فلما بلغه الكتاب عمد الى
جراب زاده واداوة وقصعته فعلقهن على عصاه وحملهن
على عاتقه وخرج من حمص ماشيا حتى قدم على عمر فسلم عليه
فرد عمر عليه متثاقلا ثم قال له يا عمير ما هذا الذي ارى بك
من سوء الحال امرضت بعدي ام بلادك بلاد سوء ام هذه
خديعة منك فقال عمير الم ينهك الله عن التجسس ثم ما الذي
ترى بي من سوء الحال الست تراني صحيح البدن قد جئتك

اجمل الدنيا فقال عمير وما الذي جئت من به الدنيا قال جرابي فيه
زادي وادواتي فيها ماي لشرابي ووضوئي وقصعتي لعجيني وغسل
ثوبي وراسي وعكازي اذب بها عن نفسي فقال عمر صدقت
رحمك الله ما فعل المسلمون قال عمير تركتهم يوحدون
الله ويصلون له فلا تسئلني عما وراء ذلك قال ما فعل
المعاهدون قال اخذنا منهم الجزية عن يد وهم صاغرون قال
ما الذي اجتبيت من المال قال ما انت وذاك اني اجتهدت
ولم آل وانما لما قدمت على عملي جمعت من به من المسلمين فاخترت
منهم رجالا فاستعملتهم ثم نظرت فيما اجتمع من المال فقسمته
في اهله ولو كان عندنا فضل لاتاك فقال يا عمير اين راحلتك
فقال لم تكن لي راحلة قال اما كان في رعيتك من يتبرع لك
بدابة بين المسلمون وبين المعاهدون اما اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليأتينهم رجال انهم سكنوا اخافوهم

وانهم تكلموا فقتلوهم ثم قال لابنه يا عبد الله جئ

بصحيفة لاجدد لعمير عهدا فقال عمير والله لا اعمل على شيء ابدا

قال عمر ولمه قال عمير لاني ما نجوت قلت لرجل معاهد اخزاك

الله وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

انا ولي خصم المعاهد واليتيم ومن خاصمته خصمته فاخذ عمر بيد عمير

رضي الله عنهما حتى اتى به الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال السلم عليك يا رسول الله السلم عليك يا ابا بكر ثم بكى وقال

ماذا لقيت بعدكما اللهم الحقني بصاحبي لم اغير ولم ابدل

وبكى معه عمير طويلا ثم قال له عمر الحق باهلك وكان اهله

على مسيرة ثلث من المدينة ثم قدم على عمر مال من الشام فدعا رجلا

من اصحابه اسمه حبيب فدفع اليه صرة فيها مائة دينار فقال انطلق

الى منزل عمير فاقم عنده ثلثا وتفقد امره ثم اعطه هذه الصرة

فاتاه حبيب فوجده بفنآء بيته يتفلى في الشمس فسلم عليه فقال له عمير

من اين قال من المدينة قال كيف تركت عمر قال صالح قال
لعله جار في الحكم قال لا قال فلعله وضع السوط
في اهل القبلة قال لا الا انه ضرب ابنا له الحد فمات فقال
اللهم اغفر لعمر فانه لا اعلمه الا يحبك ويحب رسولك
ويحب ان نقيم الحدود فنزل حبيب به فاقام عنده ثلثا يفتر به
كل ليلة قرصا مادوما بزيت فلما انقضت الثلث قال له عمير
ارتحل رحمك الله فقد اجعتنا وانك لم نصادف عندنا فضلا
ولكنا اثرناك فقال له حبيب خذ هذه الصرة فان
عمر بعث بها اليك فقال هاتها فلما صارت في يده قال
صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ابتل بالدنيا وصحبت
ابا بكر فكذلك ثم صحبت عمر فشر ايامي يوم صحبت
عمر وجعل ينتحب ويبكي فقالت له امراة لا ابك رحمك الله
ضعها حيث شئت قال صدقت فاطرحي الى بعض خلقانك

نتعلت فجعل يصر الدنانير ثلثة واربعة وفوق ذلك حتى
قسمها فى فقراء جيرانه وعاد حبيب الى عمر فاخبره فاربا ع
لذلك ولبث اياما ثم استدعى عميرا فقال له ما صنعت
بالدنانير قال اقرضها نى ليوم فقرى قال هل عليك
يا اخى دين مال لا فامر له بوقر بعير طعام وثوبين فقال اما الثوبان
فاقبلهما واما التمر فلا لانى تركت عند اهلى صاعا وهو مبلغهم
الى وقت ان شاء الله ثم انصرف عمير الى اهله فقل ما لبث ان توفى
فجزع عليه عمر وقال لاصحابه تمنوا فتمنوا فقال عمر لكنى
امنى رجالا كامثال عمير استعين بهم على امور المسلمين ؛ وكان
لعمر رضى الله عنه عامل على حمص من الزهاد اسمه عامر بن
حرع له حديث يشبه حديث عمير هذا فهما خبران من
رجلين وليس يعجب ان يزهد فى الامارة الصحابة التى رفع الله
تعالى بالبناء عليها اعلامها واكد بمسارعتها الى رضوانه

120

أكرامها وكثر بمعاشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم علومها
ووفر احلامها وعظم بالعبادة والزهادة فضلها والزامها التقوى
وكانت احق بها واهلها لكن العجب ان ينبذ الملك من
ربي في مهد كبره وغذي نعيم دره وسيط بلحمه ودمه
حب نفوذ الاوامر والنواهي وسايض اللذات التي هي ما هي في

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل كان عدي بن زيد التميمي العبادي قد طالت صحبته لملوك الفرس
فاقتبس من اداابهم فاستهتر بذلك عندهم ان بعثه بعض ملوكهم رسولا
الى ملك الروم فاقتبس ايضا من علوم الروم ويقال انه تنصر وتزهد
وكان يصاحب مع ذلك مكينا عند ملوك الحيرة من لخم وكان ابوه
خلف المنذر بن ماء السماء على الحيرة فبينا هو يوما بالخورنق
عند الملك النعمن بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن
عمرو وذي الطوق بن عدي بن نصر اللخمي وذلك في فصل الربيع

وقد اخذت الارض زينتها اشرف الملك من الخورنق فسرح طرفه
مليا فيما حوله فاعجبه ثم اعتبر به وفكره طالت به وهيب عدى
ان يسأله ثم اقبل على عدى فقال له اكل ما ارى الى نفاد
وفناء قال عدى لقد علم الملك ان ذلك كما قال فقال
الملك فاى خير فيما يفنى ويبيد وقلما لبث ان تنصر وترهب ونبذ
الملك وساح ٥ وقيل بل كان معجبا بالشقائق التي
يقال لها شقيق ومن اجل اعجابه بها وتتبعه لها في الرياض نسب
اليه وانه قصد يوما غب سما شقيقة قد كساها ذلك
النور والشقيقة في الاصل رملة مستطيلة فلما تامل تنضده
في منابته وتنوع حمرته وخضرة سوقه وتثنيه بهبوب النسيم
عليه وتناثر القطر من ارجائه راى منظرا مبهجا فارتاح وامر بان
يبسط له بازاء تلك الشقيقة بساط وشي من الحرير المخمل
وكان البساط كانه روضة مختلفة باصناف النوار

ع النعمان

وضربت عليه قبة من الديباج الاحمر منضدة من الحشايا بما
يضاهيها ويجانسها في لونها ولبس من ثياب الخز المصبوغ
بالبهرمان وهو العصفر افضل ما عنده وجلس في القبة
مواجها للملك الشقيقة وعنده عدي بن زيد فتخللت مسرته
فكرة صالحة ثم خاطب عدي ابن زيد بما ذكرناه فاهتبل
عدي الفرصة في موعظته وازمع الزيادة في تفطنه وامهله
حتى قضى اربه من مجلسه ذلك وركب فشار به عدي الى ان
مر بالقبور فقال له ابيت اللعن ايها الملك اتدري ما تقول
هذه القبور قال لا قال عدي انها تقول ايها الركب المحثون
على الارض مجدون كما انتم كنا وكما نحن تكونون
فلما سمع مقالته راجعته فكرته السالفة وظهر
عليه الانكسار ثم مر بشجرات متناوحات بينهن باجه فيها عين
جارية فقال عدي ايها الملك ما تقول هذه الشجرات قال

ما تقول قال فانها تقول ٥

من رآنا فليحدث نفسه انه موف على قرب زوال

وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تاتي به صم الجبال

والاباريق عليها فدم وعتاق الخيل تردى في الجلال

عمروا دهرا بعيش حسن آمني دهرهم غير عجال

ثم اضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال

وكذاك الدهر يوتي في طلاب العيش حالا بعد حال

ولما ولما انتهى الملك الى قصره قال لعدي اذا كان السحر فاحضر
فان عندي خبرا اطلعك عليه فلما كان السحر حضر عدي فوجد
الملك قد لبس المسوح واخذ اهبة السياحة فودعه وذهب فلم
يعلم له خبر :. وقيل ان المترهب السايح هو النعمن بن المنذر
الاكبر وبين الاخباريين اختلاف فيما ذكرته وان عديا لم
يدركه وان الذي ادركه عدي هو النعمن بن المنذر بن

122

الاصغر وهو الذى وعظه عدى بما ذكرته آنفا وعظا افضى بنصره لا غير وهذا اولى بالحق والله اعلم وقال عدى في قصة التارك الملك

ايها الشامت المعير بالدهر أانت المبرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن ام من ذا عليه من أن يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشروان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير

فان عوى قلبه فقال وما غبطة حتى الى الممات بصير
ثم بعد الفلاح والملك والنعمة وارثهم هناك القبور
ثم اضحوا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

روضة رايقة وزيادة فايقة

ما بين صدق الفجر وطلوع الشمس

حكى ان ملكا من اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات
فاتته القيمة بثيابه فلبسها ثم ناولته فنظر فيها فراى في لحيته
شيبة فقال هات المقراض فاتته فقص الشيبة فناولها
الامة وكانت لبيبة اديبة فوضعتها في كفها واصغت اليها
اذنها والملك ينظر اليها فقال ما تصنعين فقالت استمع
الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة
لما سخطها الملك فاقصاها فقال الملك ما الذي سمعت من قولها
فقالت زعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لا يجترئ لساني على
النطق به ابدا سطوة الملك فقال لها الملك قولي ما شئت

أمنة أن لزمت اسلوب الحكمة فقالت انها تقول ايها

المسلط الى امد قصير انى قد كنت ظننت بك البطش بي والاعتدا

على فلم اظهر على سطح جلدك حتى بضت وحضنت بيضي حتى

افرخن وعهدت الى بناتي في الاخذ بثاري منك اما بتعجيل استيصالك

واما بتنغيص لذاتك وتنقيص قواك حتى تعد الهلك راحة

فقال لها الملك اكثري كلامك فكتبته فتدبره ثم نهض مبادرا

فاتى هيكلا من هياكلهم فنزع عنه ثياب الاملاك وتزيا بزي

النساك فبلغ ذلك اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه

بان يعود الى محل ملكه وتدبيره فامتنع عليهم وسالهم اقالته

وتملك غيره فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصلح بينهم مثال

الهيكل على ان يتركوه في الهيكل يعبد ربه ويستكفي

غيره لما يستناب في مثله من الامور ويلي هو غير ذلك من العظايم

بنفسه فلبث على هذا حتى هلك ٥

روضه رايقه ورياضه فايقه

حكى ان ملكاً من ملوك الاوان كان كافراً طاغياً متكبراً
حديث السن مستحكم الغرة وكان اذا ركب لم يرفع احد صوته
الا بالثناء عليه وله وزير مومن بالله عز وجل يكتم ايمانه ويتحين
وقتاً يمكنه فيه دعوة الملك الى الله وكان اذا ركب بعض
الحواريين فركب الملك يوماً فسمع شيخاً رافعاً صوته لبعض
شانه فقال للشرط خذوه فلما اخذوا الشيخ قال ربي الله
فقال الوزير خلوا عنه فخلا عنه الشرط واشتد غضب
الملك على وزيره ولم يمكنه الانكار عليه في ذلك المقام
فسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امرهم بما اراده الملك
وفهمه عنه ولما عاد الملك الى مستقره احضر الوزير
فقال له ما دعاك الى رد امري بمشهد من عسكري
فقال الوزير ان لم تعجل الملك اريته وجه نصحي واشفاقي

ينتظر

وحوطتني عليه فيما اتيته فقال الملك ارني ذلك فاني لا اعجل
عليك فقال الوزير اسال الملك ان يحتجب في مجلسه هذا فيكون
بحيث يرى ويسمع ما يكون مني نفعل ثم ان الوزير احضر قوسا
جيدة صنعها للملك بعض خدمه وكتب الصانع عليها اسم نفسه
فاعطى القوس غلاما له وقال للغلام اني محضر صانع هذا
القوس فاذا احضر وحادثته فاقرا انت اسم صانعها جهرا حتى تعلم
انه قد سمعك ثم اكسرها وحضر القواس وفعل الغلام ما امره
به الوزير ولما كسر القوس لم يتمالك صانعها ان ضرب الغلام نشجه فقال
له الوزير اتضرب غلامي بحضرتي فقال ان القوس عملي وهي في
غاية الحسن والجودة فلاي امر كسرها وهو يعلم انها عملي قال الوزير
لعله لم يعلم ذلك قال القواس قد اخبرته القوس انها عملي
قال الوزير وقوس تخبر قال نعم اسمي مكتوب عليها وقراه
وانا اسمع فصرف الوزير القواس ثم قال للملك فذا وضح لك

نصحي واشفاقي وحوطني عليك وذلك انك اردت البطش الشيخ
البطش بالشيخ اخبرك ان الله ربه يخفف عليك من ربه ان تغضب
كما غضب القواس لقوسه فقال الملك واهل للشيخ
رب غيري قال الوزير المرء الملك شيخا والملك شاب
فهل كان قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك ان ابي
كان ربه فقال الوزير فما بال المربوب بقي وهلك الرب
ايها الملك اني انما اعني ربه الذي خلقه واخرجه الى الكون وصوره
ورزقه وهو المستحق لعبادته وشكره وذلك ربي وربك
ورب كل شي وهو الله فقال الملك ما معناه لقد قدحت
في كبدي بزند غير صالد ولقد علمت الان انه يجب ان
يكون للمالك والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه
فتدلني عليه قال نعم اعرفه قال الملك فدلني عليه اكن لك
تبعا ما بقيت قال الوزير اما ادلالتك عليه فهي مطلوبي

وامّا اتباعك اياي ما بقيت فان فعلته فانما تتبع عبدك الذي
تبغك بمحبته ثم دلّه على الله سبحانه اوضح دلالة وشرح الله صدر
الملك لدلالته ووزيره فامن بالله فلما رسخ في التوحيد قال له اما الربّنا
خدمة اذا عملها عبده حظي بها عنده قال بلى وظايف
عبادة امر بها خلقه ورضى لهم فعلها ووعدهم عليها رضوانه
والقرب منه فسأله عنها فذكر له الصلوة والصيام
وغير ذلك من شرايع المسيح عليه السلم فعرفها الملك وراض
نفسه بها حتى حببت اليه ثم قال للوزير ما لك لا تدعوا
الناس الى الله سبحانه كما دعوتني فقال ما معناه ايها
الملك ان الان امة ذات قلوب قسية وفهوم قصية
ونفوس عصية ولست امنهم على دمي ان تفوه لهم بذلك فمن فقال
الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال ليعلم الملك
انه ان لم تردهم هيبته عني لم تردهم عنه وساقية بنفسي ايتا

من النجاة فليحذرهم الملك على نفسه ان اجنّ واعلم ثمّ ان الوزير احضر

وجوه تلك المملكة وولاة احكام رعاياها وافاضلها

فلمّا اجتمعوا فى منزله قام فيهم خطيبا بالدعوة الى التوحيد فتمالوا

على قتله وقتلوه ثمّ اتوا الملك فاخبروه بما كان من وزيره فاظهر

لهم الرضا بقتله فانقلبوا عنه راضين وقل لبثه فيهم فنبذ

الملك وحقق بالبرهان

روضة رائقة ورياضة فايقة

قيل انّ اردشير بن بابك بن ساسان ولد له فى حداثة سنه وبدو

امره ولد فسمّاه بابك واستكفل له فيلسوفا راسخا فى الحكمة

مرتاضا بالزهادة فانقطع الفيلسوف عن ابيه وعنى به حتى مهد

وتهذب ولما سعى اردشير لضم كلمة الفرس فتمّ له ما اراد واعطته

ملوك الطوايف القياد استمد راى ولده بابك فيما نابه من

المهمات فاعجب به الّا انه كان اذا حاضره وحادثه بعض البه

126

الدنيا تضنيفاً لمعايبها وتعريفاً بشوائبها وتخويفاً من عواقبها فكان اردشير
منغص المسرة بولده لاجل هذا وكان يقال من صحب الملوك
بما يكرهونه فلابد ان يكرهونه وكان يقال قل ما ينوفر
فكر الملك على امر واحد لكثرة ما يتجاذب خواطره من نوايب
الامور ومتى ما توفر فكره على امر اوشك ان يحكمه فلا يصلح
لصاحب الملك اذا اراه مفكراً في امر ان يعرض له بغيره فيحول
بينه وبين الفرصة فيه قيل فكان اردشير يحتمل ذلك
من ولده شغفاً به وبالفاله وابقاء عليه فقال له يوماً يا بابك
اتعرف اباك فقال ايها الملك ان لي ابوين اباً كان علته كوني
واباً كان علته بقائي وانا بهما عارف قال صف لنا اباك
الذي كان علته كونك فقال ما معناه انه ملك ملأ العيون
بهاء والاسماع ثناء والصدور هيبة والقلوب محبة ذو رافة
شاملة وسيرة عادلة وحزم اخاف قلوب المرسين من اجسادها وذعر

الذين

شبوفهم من اغمادها وآمن الزبين ولو كانوا ابن السباع الضاريه
والافاعي الجاريه فالاشباح رزق لسيفه وحزمه والارواح رزق
لسيبه وحكمه ۞ قال اردشير فصف لنا اباك
الذي كان علة لبقائك قال ما معناه انه حكيم عرف
فضيلة نفسه فكرمها وعنى بها فخدمها قال اردشير
خبرنا عن كيفيه خدمته لنفسه قال بابك ما معناه تامل
نفسه فوجدها ذا ارض اريضه انيقة بكل حسن خليقه ذات
مياه نابعة واشجار كارعه وثمار يانعه وظل ظليل
ونسيم عليل الا انها مع ذلك ماوى لاسد الغضب وغول
الجهل وذئاب الغدر وخنازير الشره وضباع الحمق وكلاب
الحرص وحيات الظلم وعقارب الحسد فنفى هذه الآفات عنها
وحصنها منها فصارت خيرا محضا لا شر فيه فعلم اردشير زهده
في الملك وساه ذلك وقال له يا بابك ان الحكمة لا
وسره

يرضى لمن اتصف بها ان يكون من يوناً مقهوراً مع تمكنه من ان
يكون زناً قاهراً فقال له ما معناه ما اجدر الملك بالصدق
واولاه بالاصابه ثم ان المربوب المقهور هو الذى اتعبه هواه
لراحة مثواه فقال اردشير ان افاضل الملوك لم يتعبوا انفسهم
لراحة رعاياهم من اجل هواهم لكن لطلب الحظوة عند الرب
الذى وهب العقل واحب المحسنين قال بابك ان تلك
الحظوة لا يظفر بها من الملوك الا من ساوى في مصالح بدنه
مساكين رعيته فسلم من الاستيثار وجعل راحته بقدر الكفاية
وخص بها وقت الحاجة فسلم من الاضاعة ومحى الهوى من نفسه عند
الاخذ والاعطاء والتقريب والابعاد والامر والنهى والعقوبة
والعفو فسلم من الظلم وحصول هذه الخصال الثلث اغرب
من العنقا واعجب من الكيمياء واقل من الكبريت الاحمر
واعز من الذهب الاصفر قال صاحب الكتاب عفا الله

عنه هل مثل الملك الذي اتعبه هواه لراحته من سواه لو ان فيلا

انيسا ادبا كان لبعض الملوك ثم صيد لذلك الملك فيل وحشي

فعسرت رياضته على السواس وتعذر عليهم تانيسه فجعلوه مع الفيل الربيب

ليانس به ويقتبس من ادبه فازداد نفورا وتوحشا وبالغ السواس في مجهوده

ليذل منه فنال منه الجهد فلو ان الله سبحانه خلق لهما نطقا

وفهما كما فعل بالبعير الناصح الذي شكا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم صاحبه فذكر انه يقل علفه و

ويكثر اتعابه لم يكن من ايات الله عجبا ولا مستنكرا ان

يقول الفيل الربيب للوحشي لقد جنيت على نفسك الشر

واسات النظر لها غرة وجهلا ولو علمت ما يراد بك من الخير

اي غفلة

لم تفعل ما فعلت وكان يقال الغرة حجاب تحجب الالباب عن

صوب الصواب وكان يقال لا تكرمنك غير طالبها

كما لا تنكح كريمتك غير خاطبها فيقول الوحشي ما يراد من الخير

بى فيقول يطيب علفك ويستعذب موردك وينظف بدنك
ومسكنك ويوكل بك خدمة يكلونك ويراعون شؤونك
ويجعل لبروزك اوقات معلومة منتظرة يحتشد لها الناس
فيجلل بالديباج ويضرب بين يديك بالطبول والآت تهيج الطرب
ويبعث على الاختيال ثم يبرز فيسايرك مكرما معظما
لا يعارضك دابة ولا يهب عليك للهون هابة فيقول الوحشي
للربيب لاخبرن ما ذكرت فينزع عن توحشه ويتاتى لما يراد
منه فيكرم وينعم ويخدم واذا اظل يوم الزينة بولغ في تنظيفه
وجلل بالديباج وشد على ظهره سرير مزين واعلاه المقاتلة قد لبسوا
الدروع والخوذ بايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دارع بيده
كلاب والبست فطيسته الزرد وقبض سواسه على
بابيه بايديهم عمد الحديد وسار على تلك الحال حتى بلغ المراد
منه فاذا عاد وابه الى ماواه قال للفيل الربيب قد لونت حقيقة

ما حدثتني به و رأيت زيادات احب ان اسلك عنها اخبرني عن الانفال

التي رفعت على و حملتها فيقول هي سرير عليه رجال ابطال و آله

قتال فيقول و ما الذي سرير به فطيستي و ما يريد القابضان

على نابي و الراكب على عنقي فيقول الرتيب سريرت فطيسنك

بدرع لانها مقتل و الراكب على عنقك يسلك على الاقدام

ركاب معه في الحرب و القابضان على نابيك يهدبانك السبيل

و يذبان عنك العدو فيقول الوحشي لا امر ما لزمت و نوه باسمي

و حسن ملبسي و مشي بين يدي الرجال يطرفون بي و يفخمون شاني

و يحشد الناس لرؤيتي و اشاروا الي بالتعظيم و اكثر هذه الاشيا

لا حاصل لها و ما في رغبته من امر لا يقوم خيره بشره و لا يفي نفعه

بضره فلا تكن من احرص الحراص على التماس الخلاص وكان يقال

ليس نحر من انقاد لشهواته و لا من خدم سوى ذاته وكان

يقال من سعى لنفس غير نفسه فقد بسط عليها خيره و استنبط لها

130

129

ض وكان يقال اذا كانت الحاجة سبب تعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته فالناس عبد متاع الدنيا واعبدهم له ارغبهم فيه واحوجهم اليه ۞ وكان يقال اذا كانت العبودية الكاملة عن خدمة المعبود والحاجة اليه فاعبد العبيد ثلثة الملك والمحب والمنعم عليه لاستيلاء العبودية على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد الثلثة لعظم الكلف التي تحملها الرعية فانه سايسها في اقبالها وادبارها وحارسها في سبلها ودارها والقايم على ثغورها بسدادها والرادع لمرادها عن فسادها والحافظ لحفظ دينها والمعد لنوازل المهمات قبل حينها والجابي لفيئها واخراجها والمنفق لها في مصالحها وحاجها والمجاهد لعدوها والكالي لضعيفها من قويها والرشيد لها من غويها هذا مع شدة حاجة الملك الى رعيتها في صون نفسه وتنفيذ امره ونهيه وامحاض نصحه ودفع عدوها وعدوه ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انه من ولي امر المسلمين فهو عبد المسلمين وقال له
الاحنف بن قيس لما راه يهنا بعيرا لو امرت بهذا بعض العبيد
فقال واي عبد اعبد مني ○ ودخل ابو مسلم الخولاني على
معوية فقال السلم عليك ايها الاجير انه ليس من اجير استرعى رعية
الا ومستاجره سايله عنها فان كان داوى مرضاها وجبر
كسراها وهنا جرباها ورد اولاها على اخراها ووضعها في انف من الكلاء
وصفو من الماء وفاه اجره ○ واذا سمع مقالة الوحشي امكن
ان يتبين له ما كان خفي عليه من غرته وتهوره وفساد تصوره فيقول
يحق ما قال الحكيم الجهل يحجب العيان ويقلب الاعيان وقال لا
يزال المخطي يرجو الاصابة حتى يخامره الاعجاب بخطايه فاذا العجب
يحجب ○ ثم يقول للوحشي اني مكافيك على نصحك اياي ولسفك
حجاب غرتي بان افتح لك باب الحيلة في الفرار من الانس اذا كنت
ابصر بمعاملتهم ثم اصحبك معينا لك على اربك ومقتبسا من ادبك

وتواطيه على التظاهر بالزجر وهو داء يصيب الابل والفيلة
في مآخرها من عند افخاذها حتى تكاد تسقط فتعالج بالفصد ويحمل
على السير الهوين فينفعها لان ذلك فيبادر السواس الى فصدهما
ويخرجونهما الى الصحراء فان فرا ونجوا ادركا ما رجوا ؛ قيل
فلما رأى اردشير ان ولده محتقر للملك مؤثر للزهد والنسك
ادخله بيوت امواله ومستودعات ذخايره فاراه اياها ونبهه على من اباها
ثم قال له يا بني لم يزل هذا فقال انما الملك اتركه لملاكه
واحصن نفسي بالزهد فيه من اهلاكه ٥ قال صاحب الكتاب
عفا الله عنه وهذا مثل ضربته لبيد الامانة التي عوت فتحكمت
فما حوت ؛ لو ان راعيا كان يرعى على اهل قرية فتنحين لبقرهم
المسارح ويعمل في اصلاحها عمل المناصح فلبث بذلك برهة من الدهر
واهل القرية مسرورون به مثنون عليه حذرون من ان يستبدل
بهم غيره لما يعرفونه من بركة سعيه ويمن رعيه وكانوا

لا تسلونه عن شيء من امر نفسهم رضى بامانته وطمانينة الى كفايته

وكان بها الموثوق موثوق والامين لا يشكر فمنن ٥ وكان

بها الامانة والاحسان مملقان بكل لسان نافقان

عند كل انسان ٥ فياوي الراعي عند المقيل الى صومعة

راهب فيكثر التاوه والانين لما يناله من النصب فيرق له الراهب

ويقول له ما لي اسمعك تتاوه فيجيبه بانه تنصب وتتعب فيما

يعانيه من رعي البقر وحفظها وتتبع الاكلا بها فيقول

له ما دعاك الى الاضرار بنفسك في نفع غيرها ونفسك اقرب

النفوس اليك راجعها بسعيك فيجيبه بانه لو لم يفعل ذلك

لما غنت وانها كانت يوم ولي امرها قليلة العدد شديدة

العجف بكية الفروع لا تزين الافنية ولا تملا الانية فيقول

له الراهب لقد حدت عن جواب مسئلتي حيدة من لم يوفها

اقبالا او لم يشتغل بها بالا انما سالتك عن موجب الحمل على

نفسك وايثارك عليها بخيرك فهات اخبرني الان عما افادك
حميد سعيك وشديد رغبتك فيجيبه بانه افاده الغنى
لتصرفه في ابانها تصرف المالكين فيقول له مثلك كمثل
ناسك ساح مرتابا في سياحة بدير وقد ثلمت جدرانه ورغب عنه
قطانه وكان شابا جلدا فاصلح ما ثلم بنيانه وعمر الارض التي
بازائه فقصده جماعة من النساك فاوطوه وسادهم ودرت
منافع الدير واتخذ العبيد والدواب والات العمارة واستكثر
من الغراس ثم شره الى جمع المال فكثره وحرم المساكين
وكان يقال المال كالماء من استكثر منه ولم يجعل له مسربا
يسرب فيه ما زاد على القدر الكافي غرق به وكان يقال
المواساة في المال والجاه عوذة بقائهما فاكثر عمار الدير
شكايته وفخموا سمعته وافضت الحال بهم الى مكاشفته فدعوه
الى المواساة فيما بيديه فقال لهم انه مالي الذي اكتسبته بكدي

واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا له بل هو مال الله
ولكل منا فيه حق ولك الفضل بتنميته وصونه فقال
لهم استعلمون مال من هو واذا جن الليل من العبيد فغرسوا
اشجارا كثيرة فاضحت مستغلات فبهجات المناظر فنابته
عمرة الدير فيذكر وله ذلك ولا يعلمون انه فاعله
فيزجرهم وينهرهم ويقول انه مالي فلا عليكم نهي
او هلك فيفهمون عنه انه فاعل ذلك فيهجون عليه
ويهينونه هوانا شديدا فيخرجونه من الدير طريدا فريدا فاذا
فصل عن الدير على مثل الحالة التي كان عليها يوم دخله
سرح طرفه فيما كان غرس وعمر فشق عليه زواله عنه
وتحسر على اذهاب شبابه واخلاق جدته فيما لم يجد عليه
طائلا ثم كانت عاقبته الانسلال منه متحسرا عليه فقال
بحق قال الحكيم الدنيا سبيل تعبر ولا تعمر لانها ممر سالك لا

132

مفترساً دارك وقال الدنيا جسر من عبره باعتبار افضى الى فوز في
مسار ومن عبره باغترار افضى الى الدمار وتبار وقال الدنيا
قرين سلبها من سلمها وخطفها من عطفها فالعاقل من اهلها من استعد
لحلها فتاهب لبغتها المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار
منها يضاد الاستعداد لزيالها وقال ان الحر وح من
الدنيا لا يطيب به نفس ولكن قد يتسهل عليها بان تراض على
ذلك بالفطم عن لذاتها وتذارس قصص آفاتها وقال
التنعم في الدنيا يضاعف حسرة زيالها ويوكد غصة اغتيالها
وقال من اراد العز في الدنيا فليعتصم بالاعتزال ومن اراد الغنى
فليكتسب ما لا يزول معه حيث زال وقال كثرة الاقتناء
لزينة الدنيا مجلبة للعناء مذهبة للهناء واذا وعى الراعي مقاله
الراهب امكن ان يقول له قد كشفت عن نفسي غرب
شرتي وجلوت عن فطنتي صداء غرتي واوضحت لي غلطتي

مطلب

فی حب ما انا المفتن له قمن ودعوتی ملك ما انا علیه موتمن فماذا
من نیته فیقول الراهب اردد البقر الی ملاکها واسع فی خلاص
نفسك وفکاکها وانج من السباع الضاریه والافاعی الجاریه
والکلاب العاویه والعقبان المختلسة والشیاطین الموسوسه
والاشراك الخاتله والسهام القاتله لتنجو من البوار وتعلم
علم عالم الانوار ۝ قال صاحب الکتاب عفا الله عنه
انی والحمد لله قد قضیت کتابی هذا واتممته وبلغت به
الشاو الذی بمنه وکان حین فصل عن کنی وحصل فی ایدی رواته
عنی خاتمه الکتب التی ولدت منها تصنیفا وتالیفا واثرت فیها تهذیبا
وتقریبا فجنحت الی ان اختمه باسمائها وشیاتها وان کان الهجره
قد انتهبوا کثیرا من سماتها فاولها وافضلها الکتاب المسمی
ینبوع الحیوة فی تفسیر الذکر الحکیم نسختان احدهما محرره
والاخری مرتجزه وانما اتخذ اسمهما لان احدهما عوض عن مسلوب

133

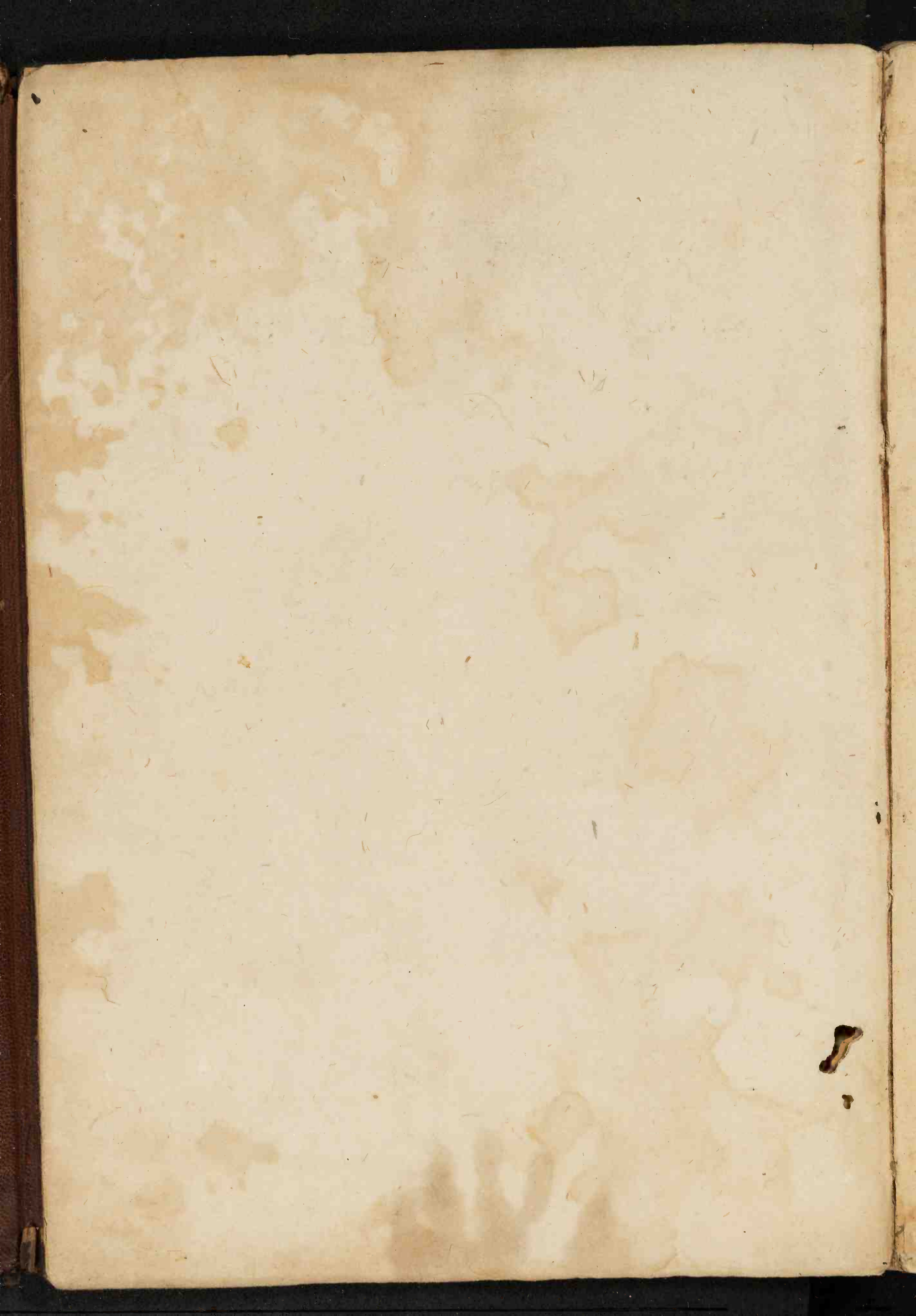
نكرر شدانه ومطلوب نعذر وجدانه ؛ والكتاب
المسمى فوايد الوحى الموحى الى فرايد الوحى المعجز ومنضمنه فى اوحاد
الاسماء الحسنى فاوحادها هى المخلصة من الاشتراك اللغوى
والاشتباه المعنوى كالكريم العظيم فانهما لا يشتركان فى
اللفظ ولا يشتبهان فى المعنى ونقيض هذا اشتراك لفظ الرحمن
ولفظ الرحيم وبيانه معنى الخبير عن معنى العليم وخصصت
الاسماء الفرقانية دون الاسماء الاثرية والكتاب المسمى بالمسنى
اى المسهل وهو فقهى على طريقة الامام مالك بن انس رحمه الله
ومسايله مشفوعة باقامة الحجج عليها ؛ والكتاب المسمى التحبير
وهو فى اصول الدين والمعتقد المسمى المعادات وهو منزع
براهين شافية كافية وبينات للشبه نافية ٥ والكتاب المسمى
معاتبة الجرى فى معاقبة الذى وهو اصولى والكتاب المسمى خير
البشر بخير البشر وهو كتاب صنفت فيه ما اخرنه من البشارات

مبعث سيدنا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ۞ اربعة اصناف
الاول منها ما جاء في كتب الله المنزلة مجيبا لامن كرله والثاني
ما جاء منها على السنة الكهان الاجان والثالث ما جاء منها على
السنة الكهان والرابع ما جاء منها على السنة الجان ؞ والكتاب
المسمى ابناء نجباء الابناء والكتاب المسمى ملحة اللغة
وهو في ذكر ما اتحد لفظه وتعددت معانيه مرتب على حروف
المعجم والكتاب المسمى السفر وهو بيان الغريب وما بداخله
والمثل السائر وما به من المقامات الادبية الحريرية ؞ والكتاب
المسمى بالتنبيه اوهام الغواص في ايهام الخواص وهو بيان
اغلاط الاستاذ ابي محمد الحريري في كتابه المسمى درة الغواص
في اوهام الخواص ۞ والكتاب المسمى كشف الكشف
والابناء عن الكتاب المسمى بالاحياء يعني احيا علوم الدين
والمختصر المسمى لقواعد والبيان في النحو ؞ وارجوزة في

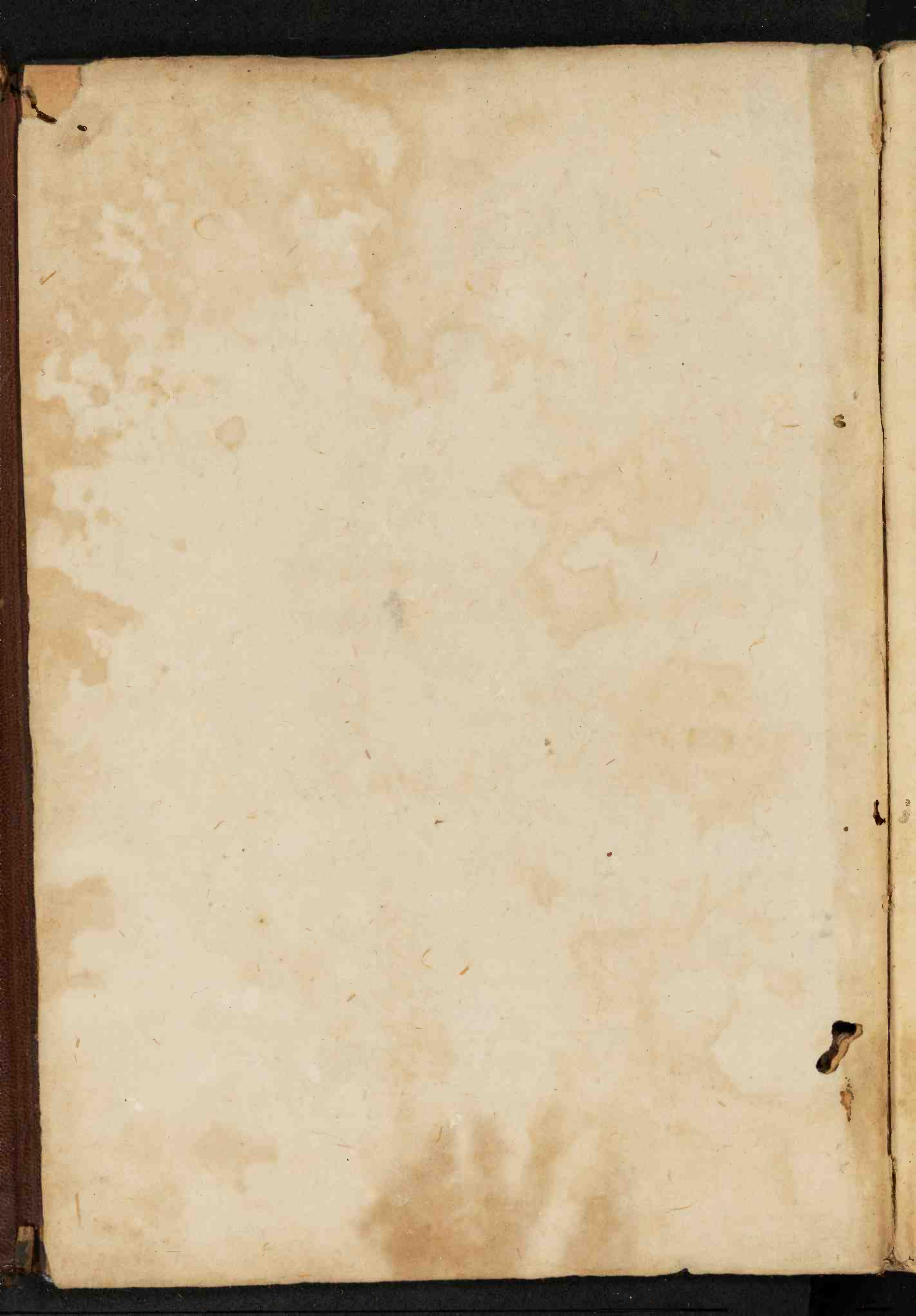
الفرايض والولاء والكتاب المسمى الجوذ الواقيه والعوذ
الراقيه وهو وعظي والكتاب المسمى مالك الاذكار
وهو وعظي المالك الرسايل والكتاب المسمى رياض الذكرى
والكتاب المسمى النصايح وانا اسل مولاى مجيب دعاته
ومثيب سعاته ان يضاعف لسيدنا محمد كرايم صلواته وان
يجعلني واخوتي من خدم العلم وكفاته ويسر وعن قلوبنا حجب
العجب وآفاته وان يهبنا من معرفته وهباته ويكلانا بحين
رافته ومعقباته ثم انى اخطب الى من بلغه كلامى منسوب
الى نغشر هفوات اللسان وهبة الاساة للاحسان فان النقص
من سمات الانسان وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين
مقلب القلوب والابصار ومطلع الغيوب والاسرار واياه
سبحانه استعفى من غول السوال وغول الجواب واستكفى فساد الخطا
وكساد الصواب واتوب اليه راجيا قبول المتاب وحسن المآب

وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا







N° 97:





